

كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية

قسم: التاريخ

مذكرة بعنوان:

الاسلام وما احدثه من تغيير في عادات وتقاليد مجتمعات السودان الغربي 7هـ-9هـ

مذكرة مكملّة لنيل شهادة ماستر أكاديمي في شعبة التاريخ

تخصص: تاريخ الغرب الاسلامي في العصر الوسيط

إشراف الأستاذ:

إعداد الطلبة:

أ.د أحمد بن خيرة

• الزهرة دباب

• رحمة طريلي

• سمية عزاوي

لجنة المناقشة:

الاسم واللقب	الرتبة العلمية	الصفة
		رئيسا
أحمد بن خيرة	أستاذ محاضر - أ	مشرفا ومقررا
		مناقشا

السنة الجامعية: 1444/1445هـ - 2023 / 2024م.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

شكر وتقدير

الحمد لله الذي أنار طريقنا وثبت خطانا وأمدنا بالصبر لإكمال المشوار والحمد لله ربّي العالمين الذي أحيا قلوب العارفين بنور معرفته، أحيا نفوس العابدين بنور عبادته هو العادل الذي لا يجور في حكمه أتقدم بالشكر الجزيل للأستاذ الفاضل والمُشرف على هذا العمل الذي قدم لنا يد العون ولم يبخل علينا بتوجيهاته الخاصة وأراءه العلمية ونصائحه المثمرة التي أفادتنا في موضوعنا فله منا جزيل الشكر وفائق الاحترام والتقدير الأستاذ الدكتور:

"أحمد بن خيرة"

الحمد لله الذي أنار لنا درب العلم وأعاننا على أداء هذا الواجب ووفّقنا إلى انجاز هذا العمل نتوجه بجزيل الشكر والامتنان إلى كل من ساعدنا من قريب أو من بعيد على انجاز هذا العمل . كما اتوجه بالشكر الجزيل على قبول مناقشة رسالة الماجستير لكل أعضاء اللجنة الكريمة المناقشة.





الأهل

من قال انا لها نالها، لم تكن الرحلة قصيرة ولا ينبغي لها ان تكون، لكن فعلناها.

الحمد لله حبا وشكرا وامتنانا، الذي بفضله ها نحن اليوم ننظر الى حلم طال انتظاره وقد اصبح واقعها نفتخر بيه. الى ملاكي الطاهر، وقوتي بعد الله، داعمتي الأولى والأبدية

" امي "

اهديك هذا الانجاز الذي لولا تضحياتك لما كان له وجود، ممتنة لأن الله قد اصطفاك لي من البشر أما يا خير سند وعوض. الى من دعمني بلا حدود واعطاني بلا مقابل

" أبي "

الى من قيل فيهم: (سنشد عضدك بأخيك) الى من مد يده دون كلل ولا ملل في وقت ضعفي

" أخوتي واخواتي "

كثف عند الانهيار وسند عند التعب أدامكم الله ضلعا ثابتا لي.

إلى أولئك الذين يفرحهم نجاحنا، ويحزنهم فشلنا نهدي هذا الى

" الأقارب قلبًا ودمًا ووفاء."

* سمية - الزهرة - رحمة - *



قائمة المختصرات

ط	طبعة
ع	عدد
م	ميلادي
هـ	هجري
ق.م	قبل الميلاد
/	الحد الفاصل بين التاريخ الهجري والميلادي
تر	ترجمة
تح	تحقيق
د.ب	دون بلد
د.ت	دون تاريخ
مج	مجلد
ق	قرن
ت	توفي

مقدمة

يعتبر دخول الإسلام إلى منطقة السودان الغربي نقطة تحول في تاريخها، باعتباره دين ومعاملة ومن الطبيعي أن يكون له تأثير في المجتمعات سلوكا ومعتقدا، وهذا ما انطبق مع حالة مجتمع السودان الغربي، واللافت ان مجيء المرابطين ازداد من ارتباط سكانه بالإسلام رسوخا وارتباطا.

وحمل أهل السودان الغربي على عاتقهم مهمة نشره في أصقاع أخرى التي عرفت الوثنية لأنها كانت تعيش على البدائية، وبعد انتشار الإسلام تحولت تدريجيا إلى الدين الاسلامي، وبالتالي خضعت منطقة السودان الغربي للعديد من المؤثرات الخاصة من بينها التأثير الحضاري العربي الإسلامي في مختلف المجالات، ومنها الجانب الاجتماعي والديني والثقافي والاقتصادي، فاحترام الإفريقيين لهذه التعاليم الإسلامية يتوقف على مدى تمكن الإسلام في التأثير في مجتمعات السودان الغربي، من هذا المنطلق اخترنا عنوان لهذه الدراسة " الإسلام وما أحدثه من تغيير في عادات وتقاليده مجتمعات السودان الغربي من 7هـ-9هـ "

وهذه الدراسة التي تتناول التأثير الذي أحدثه الإسلام في عادات وتقاليده المجتمعات السودان الغربي قد اعتمدت على جملة الاسباب والبواعث تشكل لبنة في بناءها الهيكلي التي تتلخص في الآتي:

أسباب اختيار الموضوع:

1. محاولة إظهار مدى تأثير الاسلام في مجتمعات السودان الغربي في مختلف نواحي الحياة.

2. الرغبة في دراسة تاريخ الاسلام ومدى تفاعل المجتمعات ولاسيما مجتمعات القارة الإفريقية باعتبارها امتداد حضاري وعمق تاريخي.

3. الوقوف على جسور التواصل الحضاري والديني والاجتماعي ورصد مناخ التقارب بين المجتمعات الاسلامية بشكل عام ومجتمعات المغاربية والسودان الغربي بشكل خاص.

4. إظهار مدى تأثير وتفاعل المنطبقة مع المؤثرات الاسلامية والعربية .

5. تعميق المدارك العلمية وتوسيع الثقافة التاريخية لاسيما ما ارتبط بالتاريخ السودان الغربي عبر قبائل الصنهاجية (انتقال الافكار والتقاليد والعادات والاعراف....).

6. دراسة موضوع مختلف عما اعتدنا عليه من دراسات عن تاريخ بلاد الغرب الإسلامي.

محاولة التعرف على تاريخ السودان الغربي وحياة أهله الاجتماعية والثقافية والدينية والسياسية سواء في فتراتنا الأولى الوثنية أو في الفترة التي اعتنقت فيها الإسلام.

إشكاليات الدراسة:

وفق لما سبق في عرضنا اقترحنا اشكالية عامة تتناسب مع موضوع الدراسة وتتلخص فيما يلي:

✓ ما مدى تأثير الاسلام في مجتمعات السودان الغربي؟

ومن هذه الاشكالية صغنا اشكاليات فرعية وهي:

✓ ما المجال الجغرافي الذي بلغه الاسلام فيما وراء فضاء صنهاجة الى جهة الجنوب؟

✓ ما مجالات تأثير الاسلام في مجتمع السودان الغربي؟

✓ ما درجة تأثير الاسلام في سلوكيات وذهنيات المجتمعات الوثنية؟

✓ ما هي نتائج هذا الانتشار وفعاليته في المجتمع؟

✓ ما أحدثه الاسلام من تغيير في عادات وتقاليد مجتمع السودان الغربي؟

أهمية الدراسة:

1. تكمن أهمية هذا الموضوع في الدور البارز الذي لعبه انتشار الإسلام في السودان الغربي والآثار التي خلفها ومنها خروج المجتمع من الوثنية وإتباع الدين الإسلامي والثقافة العربية ودورها الفاعل في الارتقاء بالمجتمعات المحلية.
2. تكمن أهمية هذه الدراسة في البحث في أثار الاحتكاك بين الثقافة العربية الإسلامية وبين الثقافة الإفريقية الموروثة حسب أن الثقافة الإسلامية تعد ثقافة جديدة بالنسبة لمجتمعات السودان الغربي التي تعتنق الإسلام، والبحث في التحول الذي أحدثه الدور المغربي الإسلامي في التأثير على جميع نواحي الحياة ببلاد السودان الغربي لاسيما الحياة الاجتماعية منها.
3. تعد هذه الدراسة في كونها تعالج عدة جوانب اجتماعية ودينية وغيرها في كونها تسلط الضوء في التأثيرات التي تركتها الثقافة العربية الإسلامية في جزء من القارة الإفريقية.

أهداف الدراسة:

1. تسليط الضوء عن جانب تاريخ مضيء في تاريخ الاسلام.
2. تتبع مدى انتشار الاسلام كديانة عالمية تستهدف البشرية جمعاء (منطقة القارة الافريقية).
3. إبراز الاسلام كفاعل اساسي في نهضة الشعوب لاسيما الافريقية منها.
4. الهدف من هذه الدراسة إلقاء الضوء على المنطقة الدراسة من حيث الحدود المكانية وشعوبها التي استوطنت هذه البقعة من القارة.
5. إبراز الدور الفاعل الذي أدته الثقافة العربية الإسلامية عندما وصلت إلى المنطقة والكيفية التي تمازجت بها مع الثقافة الإفريقية المحلية، وتوضيح كيفية تعامل المسلمين مع أهالي مجتمعات الإفريقية.

6. محاولة التحقق من إن الإسلام فعلا كان عاملا أساسيا في إزهار والرقي الثقافي الذي شاهدته المنطقة.

المنهج المتبع:

نظرا لخصوصية الموضوع ذا الطابع الاجتماعي والثقافي والسياسي فإنه يقتضي اعتماد منهجية تقوم على مقارنة المصادر التاريخية كتب الرحالة والنوازل وكتب التاريخ العام وكتب التاريخ المحلي بدراسة النصوص التاريخية ذات الصلة بالموضوع خلال مقابلتها لبعضها وتفكيك مضامينها لاستجلاء المعلومات وفق منهجية تقوم على سرد الحقائق ووصف الأحداث واستخلاص النتائج وفي إطار منهج تاريخي له خصوصياته وللإطفاء جانب الموضوعي اقتضى من الأمر اعتماد على مراجع لسد الفراغات.

مجالات الدراسة:

من مقتضيات الموضوع التقيد بعامل الزمان والمكان فيما يخص الجانب الزمني ارتأينا ان نحدد بالقرون 9، 8، 7هـ وذلك انها تمثل فترة نضوج الفكر الديني والحضاري لمجتمعات السودان، وذلك لارتباطها بالحراك العلمي والثقافي والناجم عن تمازج الاجتماعي والبشري بين مختلف مكونات البشرية (المغاربة، السودانيين....) ومكانيا حددنا موضوع بدراسة مجال السودان الغربي الذي سنحدده ضمن تفاصيل فصول هذه الدراسة.

الدراسات السابقة:

من الطبيعي أن موضوع تأثير الإسلام على مجتمع السودان الغربي قد تناوله العديد من الكتاب والباحثين من جوانب متعددة من وجهات نظر مختلفة ضمن الدراسات بحوث علمية لتحضير درجات علمية ماجستير أو دكتوراه منها بحوث ومقالات في مجلات ودوريات مختلفة ومن هذه الدراسات:

1. "التأثير العربي الإسلامي في السودان الغربي بين ق (14/16م)" لمطير سعد غيث وله أيضا "الثقافة العربية الإسلامية وأثرها في مجتمع السودان الغربي " وهو بحث لنيل درجة الدكتوراه وهو عبارة عن دراسة في التواصل الحضاري العربي الإفريقي.
2. الثقافة العربية الإسلامية في السودان العربي بين ق(13-15م) مملكة مالي الإسلامية نموذجا " للباحث حسن الشخي تناول فيه الثقافة العربية الإسلامية في مجتمعات السودان الغربي بشكل مختصر في هذه الفترة التاريخية مستعرضا نموذجا لأحداث هذه الممالك التي تزامن قيامها مع هذه الفترة وهي مملكة مالي الإسلامية.
3. الحواضر الإسلامية في غرب إفريقيا في القرنين (16/17)" للباحث احمد فتوح عابدين وهي رسالة دكتوراه تناول فيها الدور الذي أسهمت به المراكز التجارية التي تحولت إلى حواضر إسلامية مثل تنبكت وجني وجاو وغيرهم، في نشر الإسلام واللغة العربية دون أن يتعرض للثقافات الإفريقية.
4. "الحياة العلمية والثقافية في بلاد السودان الغربي في عهد دولتي مالي وسنغاي" وهو بحث لنيل درجة الماجستير للباحث السيد احمد الباز تعرض فيه للدور الذي قام به السلاطين هاتين الدولتين في الدفع بعجلة الثقافة العربية الإسلامية من الاهتمام بالحركة العلمية بممالكهم.
5. دور الطريقة القادرية في السودان الغربي بحث مقدم من الباحث كمال احمد الدقير لنيل درجة الماجستير، اكتفى فيه الباحث بالتعريف بالطريقة القادرية وتاريخ وصولها إلى شمال الإفريقي ومن ثم إلى السودان الغربي وابرز روادها.
6. "انتشار الإسلام وتأثيره على تطور العلاقات العربية الفولانية حتى القرن 19، بحث مقدم من الباحث إبراهيم موسى جوب لنيل درجة الدكتوراه تناول فيه الدور الذي أداه المرابطين في إيصال الإسلام إلى السودان الغربي وقيام مملكتي مالي وسنغاي

الإسلاميتين ومن ثم الدور البارز الذي أسهمت به في نقل المؤثرات الحضارية العربية الإسلامية بين الفولانيين وانتشار الإسلام وتطور العلاقات السياسية والاقتصادية الفولانية العربية وكذلك التأثير الثقافي والاجتماعي والإداري والإسلامي في المجتمع الفولاني.

-أما المشاركات والمقالات العلمية المنشورة التي تتناول منطقة السودان الغربي منها:

1. التواصل العربي الإفريقي عبر التاريخ ودور ليبيا في أدامته" مقال للباحث ظاهر جاسم محمد منشور بجملة كلية الدعوة الإسلامية وقد تحدث فيه عن تاريخ التواصل بين الشمال والجنوب منذ فجر التاريخ مثل غدامس وفزان وزويلة.
2. وسائل انتشار الإسلام في إفريقيا مقال للباحث عبد العزيز راشد العبدى منشور بجملة المناهل التي تصدر بالرباط تناول فيه دور الدعاة والمعلمين والتجار والهجرات في نشر الإسلام في عموم إفريقيا.
3. العرب والإسلام في إفريقيا للباحث محمد السيد غلاب وهو مقال من ضمن منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والثقافة منظمة المؤتمر الإسلامي تناول فيه الدور الحضاري للعرب المسلمين في إفريقيا.

أهم المصادر والمراجع:

المصادر:

اعتمدنا على كتب الجغرافيين والرحالة لمعرفة الحدود الجغرافية والطبيعية، ومن ابرز هذه الكتابات نجد نزهة المشتاق في اختراق الافاق للشريف الادريسي ابو عبدالله الحموي، وكذلك كتاب الامصار في ممالك الابصار لابن فضل العمري.

من بين أهم المصادر التي اعتمدت عليها، ابن بطوطة تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار فقد أفادنا كثيرا هذا المصدر في كونه يصف الأحداث وصفا

دقيقا حين كان في بلاد السودان فتحدث عن وضع السودان الغربي قبل الاسلام وبعد وتحدث عن عاداتهم وتقاليدهم تحدث عن التجار.

وكذلك أبي عبيد الله البكري في كتابه المغرب في ذكر بلاد إفريقيا والمغرب، أفادني كثيرا هذا المصدر في كونه تحدث عن الهجرات وأهم القبائل، وكذلك تحدث عن أحوال المسلمين في بلاد السودان الغربي خاصة في فترة مملكة غانا فشمّل كتابه جميع النواحي حيث مدنا بمعلومات عن الطرق والمسالك السودان الغربي فيها وعن مملكة غانا وسير أهلها والأحوال السياسية والاقتصادية والاجتماعية فيها.

ومن بين أهم المصادر السعدي تاريخ السودان ومحمود كعت في كتابه تاريخ الفتاش حيث ساعدني في

وكذلك الحسن الوزان في كتابه وصف إفريقيا استفدت منه كثيرا في الحديث عن الأثر الاجتماعي للجاليات المغاربية في بلاد السودان الغربي خاصة من ناحية التأثير في الحياة اليومية، ويعرض شعوبها وأخلاقهم.

كتاب " تاريخ السودان " لصاحبه عبد الرحمن السعدي، يحتوي إضافة إلى الأحداث التاريخية على تراجم العلماء والملوك والأئمة المشاركة والمغاربة والسودانيين. ومن المراجع:

يعتبر الهادي المبروك الدالي بكتابه مملكة مالي وعلاقتها بالمغرب وليبيا، والتاريخ السياسي والاقتصادي لإفريقيا فيما وراء الصحراء من أهم المراجع التي اعتمدت عليها، وقد أفادني كثيرا حيث تحدث عن القبائل التي كانت في السودان الغربي، إضافة إلى أهم تأثيرات الجاليات، وكذلك كتاب محمد فاضل علي باري وسعيد كردية المسلمون في غرب إفريقيا تاريخ وحضارة، الذي استفدت منه كثيرا في الحديث عن جالية التجار.

كما أفادت مراجع أخرى منها: دراسات في تاريخ شرق إفريقيا جنوب الصحراء
لعطية مخزوم الفيتوري.

الهادي المبروك الداوي وكتابه 1 التاريخ السياسي والاقتصادي لإفريقيا ما وراء
الصحراء. كتابه 2 مملكة مالي الإسلامية وعلاقتها مع المغرب وليبيا.
كتاب "إفريقيا الغربية في ظل الإسلام لنعيم قداح"، تحدث في كتابه عن وصف شامل
للحياة الاقتصادية لمنطقة السودان الغربي.



مدخل تمهيدي:

أولاً: الإطار الجغرافي للسودان الغربي.

ثانياً: الإطار السياسي.

ثالثاً: الأوعية الحضارية في بلاد السودان الغربي

مدخل تمهيدي:

أولاً: الإطار الجغرافي للدراسة

أطلق الجغرافيين كلمة "السودان" على الشعوب التي تقطن جنوب الصحراء الكبرى، وسموا بلادهم "بلاد السودان" واللفظة جاءت من لون بشرة سكان المنطقة، والسودان صيغة جمع أسود والمقصود الرجال ذوي البشرة السوداء وعلى نفس الوزن استخدم العرب كلمة البيضان أي الرجال ذوي البشرة البيضاء.¹

وبلاد السودان اسم أو مصطلح يقصد به كل الأقاليم شبه الصحراوية في إفريقيا شمال نطاق الغابات الاستوائية والواقعة جنوب الصحراء الكبرى.²

- موقع السودان الغربي على ضوء كتابات الرحالة:

وحدد بعض المؤرخين المنطقة جغرافياً فحدد ابن حوقل المنطقة بقوله: "وأما جنوبي الأرض من بلاد السودان فإن بلادهم الذي في أقصى المغرب على البحر المحيط بلد ملتف، ليس بينه وبين شيء من ممالك اتصال، غير أن حداً له ينتهي إلى البحر المحيط وحداً ينتهي إلى البرية بينه وبين أرض المغرب، وحداً له ينتهي إلى برية بينه وبين أرض مصر على ظهر الواحات".³

أما المقدسي 380هـ-990م في كتابه أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم حدد بلاد السودان تشمل شرق إفريقيا في قوله: "وأما بلاد السودان فإنها تتأخم هذا الإقليم (المغرب) ومصر من قبل الجنوب وهي بلدان مقفرة واسعة وهم أجناس كثيرة".⁴

وبنسبة إلى البكري 487هـ-1095م فقد أطلق كلمة السودان في القرن 5هـ-11م على ذلك الجزء من غرب إفريقيا الذي يمتد من المحيط الأطلسي غرباً إلى مشارف النوبة على نيل شرقاً واعتبر مدينه سجلماسة مدخل إلى بلاد السودان.¹

¹ عبد القادر زباديه: مملكة سنغاي في عهد الأسقيين، شركة الوطنية لنشر والتوزيع، الجزائر، 1971، ص15.

² نبيلة حسن: في تاريخ الحضارة الإسلامية، دار المعرفة الجامعية، د، ب، ص196.

³ أبو القاسم بن حوقل، صورة الأرض. دار المكتبة الحياة، بيروت، 1979، ص15.

⁴ شمس الدين أبو عبد الله المقدسي، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، مكتبة مدبولي، القاهرة، ط3، 1991، ص42.

وبالإضافة إلى القزويني 682هـ-1283م فقد حدد السودان وفق معيار جغرافي بحث فاكتفى بذكر جهاتها الأربعة كما فعل الأصبخري فقد كتب: " هي بلاد كثيرة واسعة ينتهي شمالها إلى ارض البربر وجنوبها إلى البراري وشرقها إلى الحبشة وغربها إلى البحر المحيط".²

أما أبو الفداء (ت 732 هـ: 1331 م) في تحديده لبلاد السودان ارتكز على أساس عرقي، فذكر المجموعات البشرية التي تجاورها، وحد حدودها بالفضاء الذي تشغله القبائل، مثلما فعل المقدسي لكنه صرح باعتماد الأساس البشري كقاعدة لتحديد البلدان، فقال: "وببلاد السودان في جهة الجنوب فإنها أيضا بلاد كثيرة الأجناس مختلفة من الحبشة والزنج والنوبة والتكرور والزليع وغيرهم، فإنه يقع إلينا من أخبار بلادهم إلا القليل النادر".³ أما ياقوت الحموي فقد قدر امتداد بلاد السودان على عرض الإقليم الأول يبدأ من المشرق من أقصى بلاد الصين وينتهي إلى بحر المغرب لتصل إلى بلاد الهند، فقال: "أرض السودان وهي ما بين البربر إلى الهند"⁴، وميز الحموي بين السودان المغرب كوكو وسودان المشرق الحبشة والنوبة والزنج.⁵

أما القلقشندي (ت 821 هـ: 1418 م) كتب بأن السودان يحدها من الغرب المحيط الأطلسي ومن الجنوب الخراب مما يلي خط الاستواء، ومن الشرق بحر القلزم يقابل بلاد اليمن وله في الشمال براري تمتد ما بين مصر وبرقة وبلاد العرب المغاربة من جنوبي المغرب إلى بحر المتوسط⁶ "

¹ أبو عبيد البكري، المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب جزء من المسالك والممالك. دار الكتاب الإسلامي، بيروت، ص180.

² زكرياء بن محمد القزويني اثار العباد واخبار البلاد. دار صادر بيروت، ص24.

³ عماد الدين بن اسماعيل بن احمد ابي فداء، تقرير البلدان، دار صادر، بيروت، صص 2-3.

⁴ ياقوت بن عبدالله الحموي، معجم البلدان، ج1، دار الصادر، بيروت 1957، ص18.

⁵ حسين مرزوقي، بلاد السودان في كتب الجغرافيين والرحالين العرب والمسلمين الى حدود القرن الثامن هجري. تق: محمد شقرون مجمع الاطرش للكتاب المختص، تونس، ط1، 2018، ص76.

⁶ ابو العباس احمد القلقشندي، صبح الاعشى في صناعة الأنشا. المؤسسة الوطنية للتأليف والنشر، القاهرة، 1963، ص275.

بعد استقرار أقوال الرحالة والجغرافيين نخلص إلى أن بلاد السودان الغربي يحدها شمالاً

الصحراء الكبرى، وشرقاً الكامبيرون وبحيرة تشاد، ومن الجنوب الشرقي الغابات الاستوائية، أما من ناحية الغرب فهي تتاخم المحيط الأطلسي، ومن الجنوب خليج غينيا، أي ما يعرف حالياً بمنطقة حوض السنغال وغامبيا وفولتا العليا والنيجر الأوسط والأعلى¹.

وبالنسبة أما الموقع الفلكي فهو محصور ما بين دائرتي عرض 11° و 17° شمال خط الاستواء وخط طول 10° شرقاً و 17° غرباً. وتشمل حالياً كل من السنغال وغامبيا ومالي وموريتانيا وغينيا والنيجر، والساحل العلوي والداخلي لتلثي سيراليون وداخل ليبيريا؛ والمناطق الغربية والشمالية الشرقية لبوركينا فاسو؛ والنصف الشمالي للدول الساحلية في نيجيريا وبنين وتوغو وغانا وكوت ديفوار.²

ثانياً: الإطار السياسي:

يعد دخول الإسلام إلى السودان الغربي نقطة تحول في تاريخها، وعلى إثره برز العديد من الممالك والإمبراطوريات الإسلامية منها: إمبراطورية غانة (300-124م) (إمبراطورية مالي (1225-1488م) ثم إمبراطورية سنغاي (1326-1591م).

1 — مملكة غانة:

تعتبر من أهم وأقدم الممالك في السودان الغربي، وأول تنظيم سياسي قام بالمنطقة، وكلمة غانة أو مصطلح مملكة غانة حسب المؤرخين يرجع إلي كونه لقباً كان يلقب به ملوك غانة، ثم اتسع هذا اللفظ وأصبح يطلق علي العاصمة وعلى الإمبراطورية معاً، وغانة تعني وفقاً للغة السوننك³ قائد

¹ احمد الطاهر، إفريقيا فصول بين الماضي والحاضر. القاهرة، دار المعارف، د، ت، ن، ص 66.

² باري محمد علي كردية وسعيد ابراهيم، المسلمون في غرب إفريقيا (تاريخ وحضارة). بيروت، دار الكتابة العلمية، 2007، ط 1، ص 19.

³ السوننك (Sonink): يعتبرون من أكثر الشعوب أهمية وحيوية بين شعوب الماندي، فقد هيمنوا على تاريخ المنطقة خلال العصر

الحرب"، ومن هنا أطلقت هذه الكلمة، ثم تحول الاسم إلى العاصمة مركز القيادة ثم أطلق على المملكة،¹ ولقد ورد ذكرها لدى المؤرخين والرحالة، منهم ابن حوقل الذي زارها القرن الرابع الهجري (10م)، وقال عنها: "أنها سيطرت على مناجم الملح في الشمال ومناجم الذهب في الجنوب".²

استمدت اسمها من عاصمتها القديمة إقليم كوار الرملي جنوب موريتانيا الحالية واسمها كومبي صالح، وقد بلغت أوج عظمتها خلال القرنين 13 و 11 م، كما كانت لها صلات تجارية مع بلدان المغرب، وذلك نتيجة لتوسط موقعها الجغرافي فقد كانت تشغل رقعة جغرافية تقع عند الطرف الجنوبي لطريق القوافل التجارية عبرا لصحراء الكبرى التي امتدت بين سجلماسة، في بلاد المغرب مارة بتغازة التي اسمرت لمناجم الملح.³

الوسيط، عرفوا أيضا باسم "السيراكول" (Sérakoulé) التي تعني عند قبائل الولوف "الرجال الحمر"، سكنوا في البداية في الصحراء ثم انتقلوا إلى السواحل الغربية للمحيط الأطلسي، ثم توغلوا جنوب الصحراء في المناطق الواسعة الممتدة ما بين أعالي نهر السنغال في الغرب وبحيرات النيجر، واعتنقوا الإسلام في وقت مبكر، واستوطنوا المنطقة الساحلية المحاذية للصحراء من الجنوب، وموطنهم الأصلي هو منطقة وكندو التي انتشر منها إلى المناطق المجاورة، وهم أيضا خليط من شعوب الصحراء والساحل وحوض النيجر، تمازجت وانصهرت مع الوقت بعد أن اجتمعت نواة هذا الشعب الأصلية وهي الكنكارة، وخلال الفت الممتدة من القرن 5-2هـ (11-8م)، كان السوننكة من أكبر وأقوى العصبية السودانية في غرب إفريقيا. ينظر: محمود حسن أحمد، الإسلام والثقافة العربية في إفريقيا. القاهرة، دار الفكر العربي، ط1. 2002 م، ص 173. دندش عصمت عبد اللطيف، دور المرابطين في نشر الإسلام في غرب إفريقيا السمراء. الجزائر، وزارة الثقافة، ط1، 2007م، ص، 46.

¹ إبراهيم علي طرخان، إمبراطورية غانة الإسلامية. المكتبة العربية للتأليف، الهيئة المصرية للتأليف والنشر، 1970 ص 15.

² بن حوقل، المصدر السابق، ص 98.

³ فائزة وسمية شرايطة: الحياة العلمية في مملكة سنغاي الإسلامية (9—10هـ / 15—16م)، مذكرة ليسانس، مبار جعفري، كلية

العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الوادي، 2011—2012 ص2.

وقد دخلها الإسلام منذ زمن مبكر يدل عليه وجود طائفة إسلامية، كما ذكرها البكري عند وصفه مدينة كومبي صالح بان بها اثنتا عشر مسجداً، وقد كان للمواطنين دور في ازدياد المد الإسلامي في هذه المملكة بعد أن أخضعوها لحكم الإسلام، ومنذ ذلك الوقت أصبح ملوكها مسلمين إلى أن سقطت هذه المملكة على يد قبائل الصوصو في القرن 7هـ-13م.¹

2— مملكة مالي:

أدى سقوط مملكة غانا الوثنية على يد المرابطين بالأقاليم الإفريقية المنضوية تحت لوائها إلى تكوين كيانات مستقلة متصارعة فيما بينها، وقد نتج عن صراعها من أجل السلطة والسيادة، إلى أن الأمن أخيراً إلى قبائل الماندينجو المسلمة التي يرجع الفضل إليها في إنشاء مملكة مالي الإسلامية بقيادة الملك سندياتا² كيتا (636-653هـ/1238-1255م) الذي انتصر على القبائل الإفريقية المنافسة له.

وقد بلغت المملكة مالي أوج عظمتها وازدهارها في عهد حاكمها منسى موسى³ ومنسى سليمان⁴، حيث امتدت في هذا العهد من نياني إلى المحيط الأطلسي، كما أنه شجع الثقافة الإسلامية وخاصة في تمبكتو وجيني وشيد عدداً من المساجد، وساهم في شهرة مالي الدولية، واخذ أمر مالي في التدهور بعد منسى سليمان بسبب سوء الحكم وفساد

¹ أحمد مولاي: القضاء والقضاة ببلاد السودان الغربي في أواخر القرن 9هـ-12هـ/5م — 18م: رسالة الدكتوراه في علوم التاريخ

والحضارة الإسلامية، كلية العلوم الإنسانية والإسلامية، جامعة وهران، 1، 12018، 2019 ص23.

² هو ابن ناري فمغان بن موسى كيتا المشهور بموسى الاكوي وقد اشتهر سندياتا بلقب ماري جاطة وهو من نسل السلطان

، ينظر: القلقشندي، صبح الأعشى في صناعة الأنشاء، المؤسسة المصرية العامة لتأليف والنشر، دت، ج، 5 ص293.
³ هو موسى ابن أبي بكر الأسود، واشتهر باسم منسى أو كنهه موسى، انتقل حكم مملكة ماي إلى أسرة كيتا بعد مقتل

الملكة ساكورة، تولى منسى موسى حكمها بين سني وكان من أعظم ملو عصره، اكسب بلاده شهرة في الداخل والخارج، ينظر: أحمد بابير اللأرواني: السعادة الأبدية في التعريف بعلماء تينمبكتو البهية، تح الهادي المبروك الداوي، ط، منشورات جمعية الدعوة الإسلامية، دار الكتب الوطنية، ليبيا، 2001، ص58.

⁴ هو ابن أبي بكر، وهو أخو منسى موسى، ينظر: صلاح الدين المنجد: مملكة ماي عند الجغرافيين المسلمين، ط، 2دار الكتاب الجديد، بيروت - لبنان، 1982 ص128.

التدبير وضعف أمرها ضعفا شديدا ابتداء من القرن السادس عشر، تحت ضربات سنغاي التي حلت محلها.¹

3 — مملكة سنغاي:

تأسست هذه المملكة في القرن السابع عشر ميلادي من قبل قبائل سنغاي المقيمة على وادي النيجر بين بورنم وساي، دخلها الإسلام في القرن الحادي عشر ميلادي على يد المرابطين على المرجع، ولقب أمراؤها ب(زا) ² حتى سنة 1005 م، ثم ب"سني" ³ وكانت عاصمتهم كوكيا ⁴ على نهر النيجر الأدنى، ثم انتقلت إلى كاغ، ⁵ وعرفت هذه المملكة من خلال مراكزها الحضارية والاقتصادية والسياسية كمركز جني وغاو وتمبكتو، أوج ازدهارها في عهد الأسقيين ووصلوا بالمملكة إلى درجة كبيرة من التوسع.⁶

وقد استولى ملوك سنغاي على تمبكتو في 120 هـ 1461 م ثم على مدينة جني في 878هـ-1420م، وكان السبب الرئيسي في إضعاف مملكة سنغاي هو التنافس على العرش مما عرضها للأطماع الخارجية خاصة حملة السلطان المغربي المنصور السعدي لاستيلاء على مناجم الذهب بقيادة السلطان جودر باشا، ⁷ مما أتاح الفرصة للحكم المغربي، وتنصب حكم الباشوات على المملكة وبالتالي إنهاء حكم مملكة سنغاي.¹

¹ عبدا لله عيسى: التعليم الإسلامي في غرب إفريقيا خلال القرن 16م، مجلة البيان، ع328، 2014م، ص94.

² لقب "زا" بمعنى المحرر، ينظر: السعدي: تاريخ السودان، تح هوداس، باريس، 1981م، ص3.

³ سني مشتق من السنة المحمدية، ينظر: الشيخ الأمين عوض الله: العلاقات بين المغرب والسودان الغربي في عهد السلطين

ماي وصنفي، جدة، دار المجتمع العلمي، 1989م، ص66.

⁴ تقع جنوب مدينة قاو بحواي 153 كلم، وتعرف الآن ببينتيا كانت تسمى كوغا في المصادر العربية.

⁵ كاغ: كوكو(غاو) عاصمة السنغاي، واليها انتقلت السيادة والقوة من كوكيا، وتقع على الفرع الشرقي لنهر النيجر شمال كوكيا.

⁶ محمد أبو محمد إمام: ذكرى مرور أربعة عشر على دخول الإسلام في إفريقيا، المؤتمر الدولي الإسلام في إفريقيا، الكتاب الخاص

أوراق المؤتمر، جمعية الدعوة العالمية، ليبيا، 26-27/11/2006م، ص64.

⁷ وهو أول باشا من مراکش إلى سنفي، طلوعه في العام التاسع والتسعين ومدة سلطنته 9 أشهر، ثم عزل وفي مدته

تحر الى

ثالثاً: الأوعية الحضارية في بلاد السودان الغربي

1- تمبكتو:

تقع على الحافة الجنوبية للصحراء الكبرى مما يعرف بمنحنى نهر النيجر، واستقرت كمدينة علمية ارتادها العلماء من الشمال الإفريقي أنجبت علماء أفذاذ أمثال احمد بابا التنبكتي، وخضعت للاستقيا الحاج محمدا علق عليها أماله، وزاد من شهرة المملكة احتضانها الجامعة سنكري² كانت تضاهي الأزهر والزيتونة وغيرها، إضافة إلى أنها كانت مركزاً تجارياً بزيادة التجار من الشمال الإفريقي الشرق الغربي، قال عنها السعدي: "ما دنستها عبادة الأوثان ولا سجد على أديمها قط لغير الرحمان، مؤوى للعلماء والعابدين". كانت تنبكت مركزاً تجارياً في عهد سلطنتي مالي وسنغي بيد أنها ازدهرت في عهد سلطنة سنغي

واكتسبت أهميتها من موقعها الممتاز في منحنى النيجر فأصبحت في سنغي أقرب محطة للقوافل التجارية القادمة من الغرب كما أن موقعها على النيجر جعلها حلقة اتصال بين تجارة المغرب وتجارة السودان.³

2- غاو:

لقد برزت أهميتها بذات في حكم السونغاوي، ونشأة قبل قيام وازدهار مدينة تمبكتو، وقد

عرفت بعدة أسماء، وهي حالياً في جمهورية مالي على الضفة ليسرى لنهر النيجر على بعد

443 كلم من تمبكتو، كما بلغت فيه مجدها في عهد الأسقيين، ولم تتمتع بالأهمية التي تمتعت بها جني وتمبكتو، وقد زارها ابن بطوطة وفي عهد الإمبراطورية السونغائية،

سنفي وقاتل مع أسقيا إسحاق ابن أسقيا داوود ثم جاء تنبكتو ومكث في رحبة من جهة القبلة ومدة مكثه فيه نحو شهرين أو

ثلاثة أشهر، ينظر: محمود كعت، المصدر السابق، ص. 233.

¹ محمد فاضل علي باري: المرجع السابق، ص. 122.

² المسجد الأعظم في تنبكتو، ومعناه الأبيض في لبنان السونغاوي ومنه كلمة سانكورا في لهجة الحجازيين .

³ الحسن بن محمد الوزان، وصف افريقية، الرياض، ص. 97.

اتخذت عاصمة للدولة، ومن بين أهم السلع التي وردت إليها نجد الملح، الودع، النحاس، وانتهت أهميتها كمركز بانتهاء دولة سنغاي.¹

وهي عاصمة سلطنة سنغي وورد ذكرها على لسان البكري -الجغرافي الأندلسي- في حوالي 1607م كما ذكرها صاحب كتاب الاستبصار بقوله: وأهلها مسلمون وأكثر ما يحمل إليها الملح والودع والنحاس المسبوك وحواليها معادن التبر، وهي أكثر بلاد السودان ذهباً، إن السلع التجارية الرئيسية هي الملح والودع والنحاس المسبوك أما الملح فكان يرد إليها من تغازه والودع يأتيها من الهند بواسطة التجار المغاربة والنحاس من تكدا²، وتقع جاو على بعد أربعمائة ميل جنوب شرق تنبكت وبها تجار أثرياء وترد إليها الأقمشة من المغرب وأروبا كما يوجد بالمدينة سوق للرقيق. وفي عصر ازدهار الطرق الصحراوية بين المغرب والسودان الغربي كانت القوافل تصل إلى تنبكت ومنها تتجه إلى جاو غير أن ذلك تغير في آخر عهد مملكة سنغي بعد تدهور أحوالها وأصبحت الطرق الشرقية أكثر ازدهاراً بسبب نمو ممالك الهوسا فكانت القوافل ترد إلى جاو ومنها إلى تنبكت، وقد تم تأسيس جاو قبل دخول الإسلام إليها في أواخر القرن الثاني الهجري وقد انتشر الإسلام في القرن السادس.³

3 - ولاته:

إحدى مدن موريتانيا الحالية تأسست في القرن الأول الهجري، تذكرها المصادر التاريخية بـايولاته أو والاتا، أو ولاتن، وتسمية ولاته يقال ان معناها: العارض المرتفعة وتقع الى الشمال الغربي من مدينة تنبكت، تأسست على أنقاض مدينة "بير" ولذلك يسميها البعض "بير" أو "بيرو".⁴

بعد سقوط إمبراطورية غانة وقيام مملكة مالي، أصبحت وآلاته مركز تجاري عن طريق الصحراء الجنوبي وضمت إلى حدود مالي سكانها خليط من الزنوج والعرب،

¹ عبد الرحمان السعدي، تاريخ السودان، المدرسة الباريزية لتدريس اللسانة الشرقية، 1981، ص 21.

² ديفدسون، باسيل، أفريقيا القديمة تكتشف من جديد، ترجمة نبيل بدر وسعد زغلول، الدار القومية، القاهرة، 1972، ص 59.

³ الوزان، المصدر السابق، ص 65.

⁴ الهادي المبروك الدالي: قبائل البرابيش، ط1، دار الكتب الوطنية، 2002، بدون تاريخ، ص 28.

هاجر إليها العديد من العلماء من تمبكتو وارتبطت بعلاقات تجارية مع تمبكتو والمراكز الأخرى.¹

وأشار السعدي على أنها كانت مأوى للتجار المسلمين بقوله: " واليه يرد الرفاق من الأفاق وسكن فيه الأخيار من العلماء والصالحين وذوي الأموال " وعلى ضوء ما ورد ذكره كان يعيش بولاته عدد كبير من التجار المسلمين عرب وبربر وخاصة من قبيلة مسوفة حيث كان يفد إليها التجار وأصحاب الأموال من كل بلد، من أهل مصر وفزان وغدامس وتوات ودرعة وفاس وسوس وغيرها، وتحول النشاط التجاري قليلا الى تنبكت فكانت عمارة تنبكت في خراب بير، وزارها ابن بطوطة وسماها " إيولاتن " بمعنى نبتعد في لغة السوننك وهو ما قاله المهاجرون الذين تركوا كومبي صالح واتجهوا الى ولاته. احتلت ولاته دورها كبوابة غربية لعبور التجار الى السودان الغربي وذكر ابن بطوطة "أول عمالة السودان " وكان آخر الثغور لمملكة مالي.²

وبذلك شهدت ولاته أوج ازدهارها الاقتصادي في عهد مملكة مالي، كما أشار إلى ذلك ابن بطوطة خلال القرن الثامن الهجري /الرابع عشر الميلادي، إلا أن أحوالها تغيرت بعد ذلك وهاجرها سكانها الى مدينة تنبكت.

نستنتج أن ولاته اشتهرت أنها حلقة للعلم ومنطلق لقوافل الحجيج وأيضا كميدان للحركة التجارية النشطة، فقد وفد إلى ولاته الكثير من العلماء والصالحين، وأصحاب الأموال من كل فج ومن قبائل شتى، من سجلماسة، ودرعة، وتافيلالت وفزان وغدامس ومصر وغير ذلك ومن هنا تتضح العلاقة بين تطور التجارة وانتشار الإسلام في المنطقة وقد اشتهرت هذه المدينة أيضا بزراعتها وبساتينها التي عرفت ازدهارا كبيرا، فهي تقع في واد مشهور بخصوبة تربته وغزارة مياهه مما جعل من ولاته ملتقى لطرق

¹ عبد الرحمان قدوري، الوجود المغربي بمنطقة السودان الغربي في القرن 9 و10 هـ /، 15 رسالة ماجستير، بداوية ميخوت، جامعة ابي بكر بن القايد، تلمسان 2011م، ص، ص15، 16.

² ابن بطوطة: رحلة ابن بطوطة (المعروف بـ: تحفة النظار في غرائب الأمطار) دار بيروت للطباعة والنشر - بيروت -1400هـ/1980م، ص 65 .

القوافل التي كان ربط بين بلاد المغرب وبلاد السودان الإفريقي، حيث كانت المدينة تمثل المرجعية الدينية والعلمية لسكان منطقة الحوض بصفة عامة.¹

4- أودغست:

وهي من المراكز التجارية المهمة في السودان الغربي، وتقع في شمال غرب السودان الغربي، في نقطة النهاية الذي يربط بلاد المغرب بالسودان الغربي، والذي يبدأ من مدينة سبلماسة وينتهي بمدينة أودغست. واكتسبت مدينة أودغست أهميتها ليس من كونها محطة لاستراحة القوافل التجارية فحسب، بل انها سوق ونقطة لقاء بين تجار القوافل الصحراوية، حيث يبادلون بضائعهم الشمالية بالبضائع القادمة من أودغست.² حاضرة قبيلة لمتونه التي هي فرع من فروع صنهاجة³، في القرن الرابع الهجري، استولت عليها مملكة غانة الوثنية، ثم استطاع المثلثون بقيادة الشيخ عبد الله بن ياسين أعادتها، وأصبحت محطة تجارية هامة لقوافل الصحراء، لها دور كبير في نشر الأفكار الثقافية التي يحملها التجار والمسافرين من علماء وطلاب.⁴

5- إراون

تقع شمال مدينة تمبكتو تبعد عنها حوالي 270 كلم، وهنا اختلاف بين المؤرخين في معناها البعض يرى أنها من اسم بربري، في حين يرى البعض الآخر أنها تحريف لكلمة إهاران، إيوان التي تعني بلغة السكان المحلية تماشق ارض الأبقار ذات الملوحة، والبعض يقول أنها ملح البحر بلغة الطوارق تأسست خلال القرن السادس عشر ميلادي، كان يقبل عليها التجار وأصحاب المال عكس العلماء، خاصة تجار الذهب وفي نهاية القرن الثامن عشر ميلادي بدا دور المدينة في التراجع.⁵

¹ جمال زكريا قاسم: العلاقات العربية الإفريقية، مجلة البحوث والدراسات الإفريقية، العدد 547، القاهرة 1977 ص 28 .

² لوزان الحسن بن محمد، المصدر السابق، ص 94

³ من القبائل البربرية الكبرى وأكثر مواطنهم ما بين المغرب الأوسط والبقية هم المدر كما وجدت بطونها بالصحراء وهم أهل بر، ينظر: ابن خلدون، ديوان المبتدأ والخبر، ط، 1 دار الفكر 2000م، ص 270.

⁴ محمود شاكر: مالي، المكتب الإسلامي، ط، 2 بيروت، 1986م، ص 26.

⁵ مبارك جعفري: الحياة الاجتماعية والاقتصادية في منطقة الأزواد خلال القرنين 13-16م، رسالة الدكتوراة، محمد حوتيه، كلية التاريخ، جامعة الجزائر، 2014م، ص 53.

المبحث الاول: الأوضاع الاجتماعية والدينية في ضل الوثنية

أولاً: السفور والاختلاط الزنا.

ثانياً: الملبس في ضل الوثنية.

ثالثاً: المسكن في ضل الوثنية.

رابعاً: البناء الأسري الختان والخفض في ضل الوثنية.

خامساً: الزواج في ضل الوثنية.

سابعاً: المعتقدات وطقوس في ضل الوثنية.

المبحث الاول: الأوضاع الاجتماعية والدينية في ضل الوثنية:

أولاً: السفور والاختلاط في ظل الوثنية:

ومن الظواهر الشائعة في المجتمعات القبلية في السودان الغربي إنها لا تعرف حجاباً بين الذكور وإناث بل يختلط الفتيه والفتيات والرجال والنساء بدون أي حدود ويساهمون في الكثير من وجوه النشاط الذي تنطوي عليه حياتهم اليومية على قدم المساواة. ويبدأ هذا الاختلاط من مرحلة الطفولية ويستمر حتى نهاية الحياة

فمن عادات الشائعة في المجتمعات القبلي ان تستعين المرأة أو الرجل بنساء ورجال القرية في أداء كل عمل يحتاج إلى عدد كبير من اليد العامة مقابل دعوتهم إلى وليمة تقدم إليهم.¹

وتعتبر هذه الظاهرة من العادات الوثنية القديمة والتي بقي لها امتداد في مجتمع السودان الغربي وهي من الظواهر المخالفة لشرع حيث لم تلتزم النساء بالعفة وسترة العورة وعدم مخالفة الرجال في الأسواق والطرقات وعدم احتجاب بعض النساء عن الرجال فكانت عاداتهم عدم الحياء عند اجتماعهم بالنساء وخلوتهم بهن وكشف زينتهن.

فنتج عنه اختلاطهم الزنا فتتذكر كتب الرحالة العرب أن شعوب بلاد السودان الغربي تميز باختلاط الرجال والنساء حيث نجد الرجل مع المرأة في كل مكان فرجالهم لا غيره لهم ولا بناتهم لا يحتشمون ولا يتحجبون من الرجال الأجانب والأصدقاء والأصحاب وكذلك للرجال صواحب من النساء يدخل ادهم داره فيجد امرأته مع صاحبه لا ينكر ذلك وقد نتج عن هذا الاختلاط ارتكاب الفواح وانتشار الفساد بين فئات المجتمع، مما أدى إلى احتراف الزنا كما أشار إليه البكري بقوله "الزنا عندهم مباح".²

¹ زناتي محمد سلام، الاسلام والتقاليد القبلية في افريقية، دار النهضة العربية، بيروت 1969م، ص19.

² البكري، المسالك والممالك، ج2، ص880.

وفي التقاليد الأفريقية يعاقب الزاني بزوجه أخرى وللجزاء عن الزنا صور متعددة فقد يتعرض الزاني إلى القتل على يد الزوج أو احد أقاربه ومثل هذا الجزاء لا يستتبع تأر ولا يقتضي دية في العادات والتقاليد الإفريقية فقد ينجو الزاني من القتل لكنه يتعرض لجزاء من نوع آخر في بعض هذه المجتمعات فقد تفتأ عيناه أو تصلم أذناه أو تقطع شفتاه أو تهشم أذناه.

ومن الشائع في هذي المجتمعات خصاء الزاني أو قطع أعضائه التناسلية.¹

ثانياً: الملبس في ضل الوثنية:

وصف سكان بلاد السودان "بالسودان العراة" وهذا ما بين مدى انتشار هذه الظاهرة عندهم فقد كانوا يمشون عراة وتكتفي النساء بستر فروجهن بسيور مضفورة² وفي هذا العدد يقول ابن بطوطة "ومنها دخول النساء على السلطان عرايا غير مستترات وتعري بناته ولقد رأيت في الليلة سبع وعشرين من رمضان نحو مئة جارية خرجن بالطعام من قصره عرايا " ³ ولا بد أن هذه الظاهرة وجدت قبل ظهور

الإسلام فقد كان بعضهم يسترون أنفسهم بجلود الحيوانات فكان أهل البادية الكفار يمشون عراة ففي بلدة سامة⁴ كان السكان يمشون عراة إلا أن المرأة تستر فرجها سيور مضفورة⁵ وفي منطقة دغوطة⁶ كان السكان عراة لا يستترون بشي من الثياب إلا أن

¹ السيوطي جلال الدين بن عبد الرحمان بن ابي بكر الحاوي الفتاوي، تاريخ الخلفاء، دار الفكر لبنان 2004ص338.

² مجهول، الاستبصار في عجائب الامصار، سعد زغلول عبد الحميد، دار الشؤون الثقافية العامة، الكويت، 1985، ص221.

³ ابن بطوطة، تحفة النظار في غرائب الامصار وعجائب الاسفار، تحقيق كرم بستانى، دار الفكر، د ب، د ت، ص708.

⁴ سامة: وتسمى أيضاً شامة، وهي من مدن زغاوة الصغيرة وكانت قد خضعت لمملكة غانة في أوج قوتها، وبينها وبين غانة مسيرة أيام . ينظر: الأدريسي، صفة المغرب، ص28

⁵ الحميري، أبو عبد الله محمد بن عبد المنعم، الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق: احسان عباس، ط2، مكتبة لبنان، (بيروت: 1984)، ص299.

⁶ دغوطة: جزيرة في آخر بلاد سفالة على الساحل الشرقي لأفريقيا، وهذه المدينة كغيرها من مدن سفالة تحوي تير الذهب . ينظر: الحميري، الروض المعطار، ص244 .

يضعون أيديهم على فروجهم عنه التقائقهم بالتجار الداخلين عليهم وفي جزر القمر¹ كان السكان يلتحفون بورق الشجر المعروف بورق الكتابة وهو نسبه بورق الموز إلا انه اسمك وانعم² وكان سكان البوادي من السودان عراة تماماً إلا أن المسلمين منهم يسترون فروجهم بعظام أو جلود³

كما كانت سمه التعري سائدة بين الوثنيين في مملكة غانا قبل الإسلام حيث كانوا يسيرون عراة أو من مناكرهم أن البنت لا تستر شيئاً من عورتها مادامت بكر ولو بلغت خمسين سنه تخرج بلا ستر وهي كذلك حتى تتزوج وبعضهم الآخر يسترون أجسادهم بالجلود.⁴

يذكر محمود زناتي في معرض تناوله بعض المجتمعات الأفريقية بأنهم ينتظرون إلى الذين يغطون أجسامهم بشي من الاحتقار وفي بعض القبائل يجري العرف بان تحفي النساء المتزوجات عوراتهن أما الأطفال من الجنسين والفتيات غير المتزوجات والرجال فإنهم يخرجون عراة بالكامل.⁵

ونضر لندر المصادرات التاريخية التي تناولت الحياة الاجتماعية بشي من التفاصيل لذلك سأكتفي بما ساقته بعض المصادرات التاريخية والتي أشارت بشكل مقتضب إلى عاده العري في مجتمعات السودان الغربي فها هو الشريف الإدريسي يصف أهالي السودان الغربي الذين يعيشون على نهر النيجر قرب مدينتي ملل وغانا قائلاً "وبغربي هذه المدينة "أي ملل" على ماء العين الذي يشربون منه ومع نزوله إلى أن يقع في النيل "نهر النيجر" أمام كثيرة السودان عراة لا يستترون بشي وهم يتناكبون بغير صدق.⁶

¹ جزر القمر: وهي عبارة عن أربع جزر بركانية (القمر الكبرى وانجوان ومايوت وموهيلي) وتقع جميعاً إلى الشمال الغربي من مدغشقر، وكان الإسلام قد دخلها بواسطة التجار وأصبح دين الغالبية . ينظر: الجمل، شوقي عطا الله، المراكز العربية على ساحل أفريقيا الشرقي والجزر القريبة منه، بحث منشور في مجلة الوثيقة، ع29، (البحرين: 1996)، ص114 .

² الأنصاري، شمس الدين أبو عبد الله محمد، نخبة الدهر في عجائب البر والبحر، (لايزك: 1923)، ص161.

³ ابن سعيد المغربي، أبي الحسن علي بن موسى، كتاب الجغرافية (بيروت: 1970)، ص91.

⁴ ابن الفقيه ابو عبدالله احمد بن محمد بن اسحاق الهمداني (ت365) مختصر كتاب البلدان (لبن1302) ص78.

⁵ محمود السلام الزناتي، المرجع السابق، ص11، 12.

⁶ الادريسي نزهة المشتاق في اختراق الافاق، مج1، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة د - ت، ص22.

ثالثاً: المسكن في ضل الوثنية:

اما فيما يتعلق بالمسكن فقد كان المنزل الذي تسكنه الأسرة مصنوع من القش والأعشاب والقصب المطلي بأحشاء الأبقار، والتي كانت تبني في بعض الأحيان على شكل جملونات أو كما كانت تبني في مدينه تمبكتو بالصيان ثم أصبحت بعد ذلك مبنية بالطين فكانت المساكن بسيطة دون أسوار في الأرياف واغلبها مبنية من الطين كدور مدينه تمبكتو في بداية تأسيسها والتي على شكل أكواخ مستديرة مبنية بأوتاد محاطة بالطين ومسقفة بالتين بوجود فناء أو زريبة أمام الدار لغرض إيواء الحيوانات فيها.¹

رابعاً: البناء الأسري في ضل الوثنية:

إن التكتل الاجتماعي لدى اغلب جماعات السودان الغربي يقوم على مبدأ القرابة للذين يعدون من خط عائلي واحد مشكلين بذلك مجموعة مستقلة يشرف عليها أكبرهم سناً لما يتميز به من حكمه وخبرة في شتى ظروف الحياة فالتجمع بين الأفراد يضم في الغالب عائلتين أو ثلاثاً ويقسم هؤلاء الأفراد إلى مراتب بحسب العمر ويتعرض كل عضو في الجماعة إلى امتحان دقيق وتجارب جسمانية قاسية لمعرفة ماذا كان عنصراً فعالاً في الجماعة التي ينتمي إليها أم لا، فهناك عادات تمارسها جماعات الهوسا والفلاني من الرعاية لاختبار مدى قدرة الفرد في التحكم في النفس والتي تسمى "السورو" فتختلف هذه العادات من عائلة لأخرى ففي بعض العائلات يقف الأب المراد اختيار قدرته على التحمل وسط حلقة ويحمل صحناً فوقه بعض الأشياء ويستعد لتلقي ضربات السوط من أي فرد من أفراد العائلة الذي يشكلون الحلقة فإذا سقط الصحن أو الأشياء التي فوقه من بين أيديه أصبح موقع سخرية من الجميع وفي بعض الأحيان يتعرض الفرد إلى التغيرات جسدية كالختان أو استئصال بعض الأسنان أو كلها أو شريط جسمه وهي علامات الصبر التي يجب أن تتوفر في الفرد ليكون عنصراً فاعلاً تعتمد عليه الجماعة وبذلك يمنح صفه الرجولة الكاملة.

¹ المقريري، الامام بأخبار من ارض الحبشة من ملوك الاسلام، مصر، 1895، ص6.

والجدير بالذكر انه في المجتمعات القبلية في السودان الغربي يسود ما يعرف بالأسرة الممتدة "Exlended Family" وفي هذه الحالة تمتد الأسرة لتشمل إضافة إلى الأب والأم والأبناء وآخوه الأب وأولادهم وأحفادهم ورب الأسرة بطبيعة الحال يكون من هو أكبرهم سنا وقد يعزل رب الأسرة إذا لم يكن كفوا لهذه المهمة ويكلف عضوا اصغر منه لرب الأسرة على أفرادها نفس الحقوق التي للأب في الأسرة بمعناها النواة.¹

لقد كان تأثير القبيلة في المجتمع العربي للجاهلي على أفرادها أكثر من تأثير الأسرة نفسها على أعضائها ويرجع قوة ذلك إلى عدة مؤثرات قد لا تتوفر في المجتمعات القبلية في السودان الغربي منها إن العرب يتكلمون لغة واحدة وهي العربية وإن اختلفت لهجاتها كما أنهم يدينون بدين واحد هو الدين الوثني إضافة إلى أنهم من جنس واحد وهو الجنس السامي.²

فمن عاداتهم وتقاليدهم الوثنية لختان والخفض عادة الختان للذكور والخفض للبنات فهناك من القبائل ما تجري بختان الذكور وخفض الإناث على السواء ومنها ما تجري تقاليده بختان الذكور دون الإناث ومنها ما لا يعرف ختانا للذكور أو الإناث ويعتبر الختان من الطقوس الإفريقية التي كانت سائدة في المنطقة قبل مجيء الإسلام بآلاف السنين ذلك لأنها تمارس عند كل من المسلمين والمسيحيين وبعض الجماعات ذات المعتقدات المحلية التقليدية أما الأعمار فغالبا ما تكون بين 7-10 سنوات وكان الشاب يختن قبل أن يتزوج أي انه كان مدخلا للحياة الاجتماعية والسياسية والعسكرية بحيث يمنع منعاً باتاً أي اتصال جنسي بين المرأة والرجل غير المختون الذي يسمى عندهم "العزل" أي الصبي ويعتقد الأفارقة أن هذا الاتصال من شأنه أن ينجس كل من له علاقة قرابة بهما من قريب أو بعيد إضافة إلى تجنيس الماء والهواء والتراب التي تم فيها هذا الاتصال ذلك لان الرجل مازال صبيا في مفهومهم وهو إذن خارج النوااميس الاجتماعية والسياسية فعملية الختان تمثل في حد ذاتها طقوسا للمرور من الصبا للرشد ففيها يدرّب

¹ حسن علي ابراهيم الشخي، تأثير الاسلام وثقافته في السودان الغربي منذ بداية ق11حتى نهاية ق16م، بحث مقدم لنيل درجة الدكتوراه في التاريخ، ص146، 147.

² محمود السلام الزناتي، المرجع السابق، ص10.

الصبي على ممارسة الحكمة لأجل ذلك يصبح مقبول الانتساب إلى مجلس الحكماء في القرية يدرّب على التعامل مع كافة أنواع الأسلحة والمبارزة والرمي وغيرها.¹ لقد اكتسب الختان لدى الجماعات التي تمارسه منذ القديم أهمية شعائرية فهو عادة يحاط بطقوس واحتفالات هامة في الوقت الذي يشكل فيه احد الملامح البارزة التي تؤدي إلى الانتقال من مرحلة الطفولة إلى مرحلة الرجولة الكاملة.

أما الخفض أو ختان النساء فهي طقوس اجتماعية معروفة لدى الكثير من الشعوب وخاصة الشرق القديم وإفريقيا جنوب الصحراء وتذهب الأسطورة الإفريقية إلى أن الإنسان من حيث الجنس مركب من طبيعتين طبيعة ذكورية وطبيعة أنثوية فيبقى الإنسان رجلاً كان أو امرأة نجسا ما لم يظهر نفسه من هذا التركيب أي أن يزيل الرجل ما به من الطبيعة الأنثوية وتزيل المرأة ما بها من الذكورة وهي ذلك العضو المسمى "البظر" وهكذا نزول عنها الروح الذكورية ولهذا ليس غريباً أن تتعت المرأة غير المختونة بأنها ليست سوية ويجري العرف لدى الكثير من الجماعات الإفريقية بتحريم الاتصال الجنسي بين الذكور والإناث قبل إتمام عملية الختان لهم ومن العار إن تحمل فتاة قبل خفافها ويتسبب الحمل السابق على الخفض في إصابة الفتاة بنجاسة شديدة كانت تستتبع في بعض القبائل التخلص من الفتاة نفسها وفي البعض الآخر نفقد مثل هذه الفتاة صلاحيتها كزوجة لأحد أفراد القبيلة أما ما ينجم عن الحمل من ولد فلا يسمح له بالحياة وقد عرفت هذه المجتمعات عادة الخفض والذي على ما يبدو انه تقليد متوارث قبل الإسلام.²

خامساً: الزواج في ضل الوثنية:

كان الزواج في المجتمع السوداني غير منظم ويستند إلى مواريث فوضوية بعيدة عن التنظيم فليس للرجل والمرأة زوج معين بذاته بل حياتهم أشبه بحياة حيواناتهم التي يرعونها. فالمرأة يجتمع عليها أكثر من رجل وقد يصل إلى اثني عشر رجلاً والرجل يجتمع مع عدد من النساء كما كانوا يتتاكحون بغير صداق وقد يتزوج الرجل المرأة

¹ المرجع السابق ص228.

² محمود السلام الزناتي، المرجع السابق، 229.

للمتعة وهو زواج مبني على المصلحة، وقد تعجب ابن بطوطة من ذلك عند زيارته مالي وقد لاحظ وجود الإباحة سائدة بين الجنسين ويقول "دخلت يوما على أبي محمد يند كان المسوفي الذي قدمنا في صحبته فوجدته قاعدا على بساط في وسط داره سرير مظل عليه امرأة معها رجل قاعد وهما يتحدثان"¹، أن عادات الزواج في مجتمعات السودان الغربي كانت تتسم بالهمجية ويقول صاحب نزهة المشتاق 1811/345هـ واصفا أهل السودان وهم يتناكحون بغير صداق بل وكانت المرأة الواحدة يضاجعها أكثر من رجل، كما أن الزواج لدى بعض الجماعات كان محصورا داخل العشيرة الواحدة حفاظا على تماسكهم.²

ومن الظواهر البارزة في المجتمع الفولاني تفضيلهم الزواج "الاندوماجي"³ لذلك نجدهم يفضلون الزواج من بنات العم ثم القريبات الأقرب من جهة الأب ثم من جهة الأم وهذا يعود إلى عدة أسباب عصبية سياسية حيث يضمن الزواج من بنات العم والقريبات بالدم عموما ترابط العائلة وتماسكها كما يضمن بهذا الزواج حفظ الأملاك والأراضي داخل العائلة الواحدة ويجنبه الزواج من داخل العائلة دفع مهر عالية. وكذلك "البمبارا" و"الماندنجو" و"الولوف" فإنهم يفضلون الزواج من داخل العشيرة ويذكر "مونتاي" إن الولوف يتزوجون من بعضهم بعضا فالزواج الداخلي هو القاعدة المتبعة لدى "الماندنجو" فاعتقد التوكلور أن الزواج المشرف هو الزواج من ابنة العم أو ابنة الخال فأما "الهوسا" إلى أن أفضل أنواع الزواج يكون في أبناء العمومة.

وعلى خلاف ذلك نجد لدى بعض الجماعات الأخرى في السودان الغربي نمطا آخر من الزواج الاكسوجامي⁴ لاعتقادهم أن الزواج من الأقارب يجلب الأمراض والتشوهات أو الموت للأجنة وهذا بدوره سيؤدي إلى تغيرات بعيدة المدى في كمفاهيم القرابة

¹ ابن بطوطة ص 148

² مارمول كربخال، إفريقيا، ترجمة محمد حجي وآخرون، مكتبة المعاف للنشر والتوزيع، الرباط، 1984 ص 169.

³ الزواج الاندوماجي، المقصود به الزواج الداخلي أي داخل العائلة أو القبيلة يفسره قاموس المنهل فرنسي عربي بالزواج اللحي .

⁴ الزواج الاكسوجامي، يقصد به الزواج الاغترابي أو الزواج من خارج القبيلة يفسره قاموس المنهل فرنسي عربي بالزواج الخارجي .

والنسب وفي بعض المجتمعات يمتد التحريم حتى يشمل العيرة التي تنتمي إليها الأم أيضا.

ولدى مجتمعات "الايبيبو" لا يسمح بالزواج بين أولئك الذين يعرف أن قرابة تربط بينهم مهما كانت بعيدة كما تحرمه جماعات البورو الذين يعتبرون أن الحالة أم ثانية وان الزواج من ابنتها عبارة عن فسق.¹

يعتبر الزواج في السودان الغربي كباقي الممارسات الوثنية، ومن طرق هذا الزواج أن تتم أي أن يعطي الرجل أخته أو بنته إلى رجل آخر، على أن يزوجه أخرى من أسرته، وكان الزواج فيه نوع من الاستعباد بحق الزوجة في البدو أو الخضر ولم تكن لها حرية التصرف في شؤون البيت، ولم تكن تبرح بيت زوجها وتقوم بكل الأعمال أما الزوج لا يقرب زوجته أثناء الحمل وطيلة فترة الرضاعة ولا يسمح لها بلمس مقتنياته، فلم تكن تختلف الزوجة عن معاملة الحيوانات.

ومن التقاليد الشائعة في بعض المجتمعات القبلية ما يعرف بالضيافة الجنسية، وهي أن يسمح لرجل لضيفه بالاتصال بزوجه، يعتبر ذلك من مقتضيات الضيافة الأساسية وقد فسر ذلك الباحثون في ضل الفكرة القائلة بأن الزواج الإفريقي إنما هو شراء للمرأة، فمدام أن للزوج لحق الملكية، فيكون له الحق في النازل عن هذه الملكية متى شاء ولمن شاء.²

تذكر كتب الرحالة العرب أن شعوب بلاد السودان الغربي تميز باختلاط الرجال والنساء حث نجد الرجل مع المرأة في كل مكان فرجالهم لا غيره لهم ولا بناتهم لا يحتشمون ولا يتحجب من الرجال الأجانب والأصدقاء والأصحاب وكذلك للرجال صواحب من النساء يدخل ادهم داره فيجد امرأته مع صاحبه لا ينكر ذلك وقد نتج عن هذا الاختلاط ارتكاب الفواح وانتشار الفساد بين فئات المجتمع، مما أدى إلى احتراف الزنا كما أشار إليه البكري بقوله "الزنا عندهم مباح".³

¹ حسن علي ابراهيم الشخي، المرجع السابق، ص149، 150.

² محمود سلام الزناتي، المرجع السابق، ص85.

³ البكري، المسالك والممالك، ج2، ص880.

وفي التقاليد الأفريقية يعاقب الزاني بزوجه أخرى وللجزاء عن الزنا صور متعددة فقد يتعرض الزاني إلى القتل على يد الزوج أو أحد أقاربه ومثل هذا الجزاء لا يستتبع تأر ولا يقتضي دية في العادات والتقاليد الإفريقية فقد ينجو الزاني من القتل لكنه يتعرض لجزاء من نوع آخر في بعض هذه المجتمعات فقد تقفأ عيناه أو تصلم أذناه أو تقطع شفتاه أو تهشم أذناه.

ومن الشائع في هذي المجتمعات خساء الزاني أو قطع أعضائه التناسلية.¹

سادساً: المعتقدات والطقوس في ضل الوثنية:

بالنسبة لموضوع الديانات التقليدية المحلية بالسودان الغربي فان عدم وجود وثائق كتبها الإفريقية أنفسهم عن تاريخهم وتراثهم القديم باستثناء بعض الروايات الشفوية التي تناقلتها الأجيال فالديانات الإفريقية تختلف عن الديانات السماوية المكتوبة.

كون الديانات المحلية غير المكتوبة وتعتمد على الروايات الشفهية المتوارثة وتعد بالنسبة لهم طقوسها جديرة بالعباد وهي ديانات قبلية مرتبطة بجماعه بشريه محدودة لا تحمل أي رسالة عالميه عليها أن تتحمل عبأ نشرها فكل قبيلة ألتهها إلا عندها.² فتنوعت عيوب المنطقة وصعوبة الاتصال بين أرجائها تجعل من الصعب الاتصال بين أرجائها ومن ناحية أخرى فقد أسيء إلى معتقدات المحلية فالكتاب الأوربيين الذين كانوا مصدر معلومات العالم الخارجي كان البعض قد أساء إلى الإفريقيين واعتبرهم متوحشين ولبس لهم دين ومنهم من وصف المعتقدات المحلية واعتبرها وثنيه أو عباده أصنام أو حتى عباده دمى وتعاويز من صنع الإنسان نفسه وهو ما جعل البعض يطلق عليها "الفتشيه".³

¹ عبدالله عبد الرزاق ابراهيم، الاسلام والحضارة الاسلامية في نيجيريا، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة، 1984، ص204.

² ج، س، فرويليش "ديانات الارواح الوثنية في افريقيا السوداء ترجمة يوسف شلب الشام، دار المنارة، سوريا، 1988م، ص59.

³ مجاهد حورية توفيق، الاسلام في افريقيا وواقع المسيحية والديانات التقليدية، مكتبة الانجلو المصرية القاهرة، 2002م، ص46.

وهناك الكثير مما قيل عن ممارسه الإفريقيين لعبادة الأجداد وممارسه السحر وتقديس الأرواح فيشير "فنسان مونتاي" إلى أن عبادة الأجداد أمر شائع بين الكثير من الأفارقة تقدم فيها الأضاحي على القبور ويسكب الحليب على مداخل المنازل ولكن "أيدو بولاجي" صحح ما ذهب إليه مونتاي باعتقاده أن الإفريقيين يعبدون أرواح الأجداد حيث أكد بان تقديس أرواح الأجداد لا تعني بضرورة عبادتهم لها: فهيا لا تزيد عن كونها الإيمان باستمرار حياة الروح بعد الموت وأهميه الدور الذي يؤديه الأجداد في حياة الأفراد سواء وهم أحياء أو بعد موتهم كواسطة بين الأحياء وبين عالم ما وراء الطبيعة فالتعبير الأدق هو إنها ليست عبادة الأرواح الأجداد بل هي مجرد تبجيل واحترام وتقديس بمعناه العام.

فمنطقة السودان الغربي زاخرة بالديانات ضمن ديانات غارقة في الطبيعة حتى يكاد معتنقيها يعبدون كل مظهر وكل عنصر من عناصرها من شمس وقمر وأمطار وشجر ومن إنسان وحيوان سواء كانوا أحياء أو أموات بل ذهب بعضهم إلى اعتبار كل شي مادة للعبادة والتأمل فإذا مروا بسهل أو مروج وقد أتت عليها النار في فصل الجفاف وبقيت فيها أماكن لم تحترق أو أعشاب لم تأكلها النار أخذوها معهم إلى البيت قائلين أن سبب عدم احتراقها تكمن وراءه روح خفية تمنعها من الاحتراق.

إن العالم ليس خاليا من الكائنات المرئية اللامرئية وعلى الإنسان أن يعلم انه ليس وحيدا في الكون بل معه الجن والأرواح فهي لا تقل عنه وجودا وعن طريق الطقوس والشعائر اليومية والموسمية يمكن أن توجد هذه العناصر لدى الأفارقة وممارسة هذه الطقوس بكل معانيها تدل على أن الأفارقة متدينين ويدحض قول أولئك الذين يقولون إن الأفارقة لا دينيين سيما إن الدين واللادين يرتبط أصله بالديانات السماوية كما هو معروف ومع ذلك جاءت سورة الكافرون ستؤكد انه حتى للكفار دينهم بدليل قوله تعالى "لكم دينكم ولي دين".¹

¹ سورة الكافرون، آية رقم 6.

لقد تمت الإشارة إلى أن بعض الكتاب الغربيين وغيرهم ممن أساء فهم طبيعة الديانات الأفريقية والذين تجنبوا عليها فأدخلوا المغالطات التي ارتكبت بحق الديانات المحلية الأفريقية ومنها:

-إن استخدام مفهوم الديانة المحلية التقليدية، بعد خطأ وقع فيه العديد من الكتاب، ولكن الصحيح أن نسميها "الديانات المحلية التقليدية" لأن هذه الديانات هي ديانات قبلية مرتبطة بجماعه بشريه محدده، فكل قبيلة آلهتها التي ليس لها أهميه إلا عندها وهي لا تسعى لان تفرضها على الآخرين الذين لهم آلهتهم الخاصة بهم¹، فكل جماعه اجتماعيه عملت في نفس الوقت بوصفها جماعه دينيه، ومن هنا استخدم البعض مفهوم الديانة القبلية لذلك نجد "فرويليش" يسميها ديانات الأرض، أي مجموعه الأراضي المتجاورة قابله لزراعه التي تستثمرها مجموعه بريه معينه وليس لها أي صفه عالميه وهي ترتبط بقبيلة ما وبأرضيها عن طريقتين

احدهم "عمومي" يوجد بين الأحياء وأجدادهم البعدين جداً الثاني "أفقي" يوجد بين السلالات ومن العائلات التي تنتهي إليها بصلة القربى.

واهم ما يميز وضع الجماعات السودان الغربي أنهم تقاليد شديدو التدين والإيمان بالقوى الغيبية والدليل على ذلك الحكمة الفلانية التي وجدها "جلبرت فييار" في مخطوط بالغه الفلانية بمنطقه "فوتاجالون" بغينيا الحالية تقول "إن الحياة تتلخص في أربع نقاط وهي العدل وتقوى الله، والحياة، والصبر "

إن المعتقدات المحلية التقليدية تعتمد على تعدد الآلهة وعدم وجود اله أعلى أمر غير صحيح لأننا نلاحظ في مجال بحث الديانات المحلية التقليدية عاده ما يستخدم وعاده ما يستخدم لفظ "faganism" التي تعني (الجاهلية أو الوثنية وكفر وشرك بالله) وقد كانت تطلق على دين من يعرفون بالشعوب البدائية.²

وصف الديانات الإفريقية بالفتشية وهو مصطلح أطلقه البرتغاليون على الديانات الإفريقية التقليدية عند بداية احتكاكهم بالإفريقيين عندما راو الأفارقة يرتدون عقودا

¹ ج، س، فرويليش، المرجع السابق، ص59.

² حورية توفيق مجاهد، المرجع السابق ص54.

معلق بها أشياء مثل القواقع وقطع الخشب والتعاويذ تعتبر فتىكو وهي كلمه مستمده من أصل لاتيني وتعني غرضاً أو شيئاً مصنعا أي أن لها القوة سحريه فاعتبرت هذه المصنوعات بان لها دوراً سحرياً ودينياً فاعتقد وان الأفارقة يعبدون هذه الأشياء ومن هنا أطلق على الديانات الأفريقية التقليدية اسم الفتشيه وصاغ "دي بروس" هذا المفهوم ويقصد به عبادة وتبجيل الأشياء التي يعتبرها الإنسان تعاويذ تمنع عنه الر وتجلب له الحي راما "لوجيست كونت" فيستخدم المفهوم للإشارة إلى الديانات البدائية أما تايلور يعتبره بمثابة "اله البيت" وقوه فاعله خفيفة تطر الخبائث عن صاحبه وتجلب له الخير أما "احمد همبتي" فانه يوضح بان اللجوء لمثل هذه الأشياء كان الأسباب نفعيه أي بسبب ضرورتها فقط فولدت فكرة الفتش، فالإفريقيون جنوب الصحراء تعود وان يلجأ لوسطه آخرين لتوصيل أوامرهم أو تلقى الآراء ممن هم دونهم أو الأمر ممن هو أعلى منهم في شتى الأمور، فالفتشية تستخدم في الوساطة إلى الإله الأعظم، خالق كل شيء والإفريقي يرجع كل الأمور لله عن طريق الفتشيه. أن الباحث في حقيقة الديانات الأفريقية التقليدية يتأكد له أن الإفريقيين لا يعبدون هذه الأشياء التي يصنعها، بل يتخذونها مجرد تعاويذ وتمائم تقيهم شر الحسد وتحميمهم من الكثير من الكوارث المحتمل وقوعها، وهم في ذلك ليسوا فريدين، حيث استخدمت التعاويذ ظواهر شائعة في ضل الأديان المختلفة حتى السماوية منها.¹

أن المعتقدات الدينية في كل مكان تفسر وتسوغ التنظيم الاجتماعي، والطقوس تجسد المعتقدات وتكرر مشاهد الخلق وتساعد على استمرار المجموعة البرية. أن المعتقدات الدينية المحلية تفرض نفسها على جماعات السودان الغربي ومن ثم فإن الخروج عليها قد يعرضهم للجزاء أو العقاب.²

بالإضافة إلى عادات الدفن في العهد الوثني فهو يعتبر من طقوسهم الوثنية، دفن الملك ومعه خدمه والمقربون إليه، فضلا عن طعامه وشرابه وحليه وهذا لاعتقادهم بحياة ما

¹ حورية توفيق مجاهد، المرجع السابق، ص 57.

² اسماعيل فاروق، الأنثروبولوجيا الثقافية، "دراسة عقلية في الثقافات الفرعية"، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، 1989، ص 131، 132.

بعد الموت وهذه الأشياء التي يدفنوها معهم يحتاجها في تلك الحياة¹، ونقل البكري وصفا دقيقا لمراسم دفن ملوك غانا الوثنية. وهي الطريقة التي تشبه كثيراً طريقة المصريين القدماء في دفن ملوكهم.² حيث قال البكري بانه: "إذا مات ملكهم عقدوا له قبة عظيمة من خشب الساج ووضعوها في موضع قبره، ثم اتوا به على سرير قليل الفرش والوطاء فأدخلوه في تلك القبة، ووضعوا معه حليته وسلاحه وانيته التي كان يأكل فيها ويشرب، وادخلوا فيها الاطعمة والاشربة، وادخلوا معه رجالا ممن كان يخدم طعامه وشرابه، واغلقوا عليهم باب القبة، وجعلوا فوق القبة الامتعة والحصر والامتعة، ثم اجتمع الناس ورددوا فوقها بالتراب حتى تأتي كالجبل الضخم ثم يخندق حولها حتى لا يوصل الى ذلك الى ذلك الكوم الا من موضع واحد وهذا يحيل الى حياة ما بعد الموت او على الاقل بالنسبة الى الملوك."³

بعد المتأمل في المصادر العربية اجماعا على وثنية السودانين، وان الحالة الدينية عندهم لا تختلف عن مسارات المجتمعات البدائية، يتضمنها عنصر التأليه والقربان المرتبط اما بحاجات اقتصادية او سياسية او امنية، او المؤسسة على اساطير قديمة لا تكاد تخرج في جوهرها عن السياقات السابقة، ذلك ان الدين في جوهره في هذه المرحلة من تطور البشرية الفكري ليس سوى انعكاسا لحالات النفس المرتبطة بالرجاء والخوف.

يلخص البكري في مسالكة ديانة السودان بالقول ان سائرهم كانوا على المجوسية وعبادة الدكاكير⁴ لم تكن هذه الالهة الهة شخصية بل كانت الهة قرية او مدينة او مملكة، لها مكان مخصوص تمارس فيه طقوس العبادة مع ذلك ان مدينة غانة حولها قباب وغابات وشعراء، يسكن فيها سحرتهم الذين يقيمون دينهم، وفيها دكاكير وقبور ملوكهم، ولتلك الغابات حرس لا يكمن لاحد دخولها ومعرفة ما فيها.

¹ نعيم قذاح، الثقافة العربية وانتشارها في افريقيا الغربية، مجلة المعرفة، ع11، وزارة الثقافة والارشاد القومي، دمشق سوريا، اكتوبر 1963، ص52

² البكري، المصدر السابق، 175.

³ البكري، المصدر نفسه، ص364.

⁴ الدكاكير معناها الصنم .

وهاذا يدل على الدور الهام للدين ورجاله في هرم السلطة، ، كما افاد من اهل مملكة الدمد، ان في بلدهم قلعة عظيمة فيها صنم في صورة امرأة يتألهون لها ويحجبونه، وعند ابن سعيد ان لهم مدينة كالقرية وفيها بيت دكاكيرهم، وكانت معابدهم عبارة عن ابنية بسيطة مربعة ذات ابراج اسطوانية مزينة بالصور¹، ومن ثم فإن الالهة تمثل عند السودانين جزءا اساسيا من عناصر الوحدة الاثنية او القبلية، ذلك ان هذه المجتمعات تعتبر الصنم الضامن لرزق القبيلة وانتصاراتها. وذكر البكري ان اهل زاقو يعبدون حية كالثعبان العظيم، ويذكر ان اله مملكة غانة كان ثعبانا يدعى (وغادا بيدا) يعتقدون انه يقوم بحراسة المدينة وحماية كنوزها وثروتها²، كما ذكر السعدي ان اهل كوكو قبل اسلامهم كتن يتمثل لهم الشيطان في صورة الحوت فيجتمعون اليه وبعبدونه، ويظهر هاذو التقديس للحيوانات في وجود قبائل سودانية تحمل اسم حيوان سواء كانت تعبده او يتعلق بأسطورة عن قدرة جد القبيلة على الفرار من سطوته.

وقد عبد السودانيون النبات ايضا، اذ ذكرت المصادر عن بعضهم ان لهم شجرة عظيمة يعملون لها عيدا في كل سنة يجتمعون عندها ويلعبون حولها حتى يسقط عليهم ورقها فيتبركون به، وافر الوزان الى ان النار والشمس كانا من معبوداتهم القديمة، ما يحيل الى المعنى المجوسية التي ذكرت جل المصادر انهم يدينون بيهي.

كما عرف السودان ايضا عبادة الملوك، كأهل زغاوة الذين كانوا يعتقدون انهم هم الذين يحيون ويميتون ويمرضون ويصحون، فكانت بعض المصادر تذكر بعض الطقوس والممارسات التي كان يلتزم بها السودانيون في مجالس ملوكهم تدعم وجود هذه العبادة، او على الاقل نوع من التقديس لهم، فبعد وفاة الملك يدخل في اطار الاسلاف الذين كانوا يعبدون ايضا وكانت عبادتهم تشكل احدى الدعائم الديانة الوثنية في السودان الغربي، فالأجداد هم المسؤولون عن وضع اسس تقاليد الجماعات واعرافها فموتهم لا يعني سوى انتقال ارواحهم الى عالم اخر تراقب من خلاله تصرفات الابناء،

¹ عطية مخزوم الفيتوري دراسات في تاريخ شرق افريقيا وجنوب الصحراء (مرحلة انتشار الاسلام)، بنغازي منشورات جامعة قاريونس، 1998، ص241.

² جوان جوزيف، الاسلام في ممالك وامبراطوريات افريقيا السوداء، ترجمة مختار السويقي، القاهرة، دار الكتاب المصري — 1981 ص57.

فمن حاد منهم عكت سنوه من اعراف اوقعوا به الشر، ومن التزم احاطوه برعايتهم ووجهوه من حيث لا يعلم الى الخير والنجاح في الحياة.¹

ومن الطقوس الدينية التقليدية في السودان الغربي الطقس المتعلق بالاستقساء، فكانوا اذا ارادوا ذلك جمعوا عظاما فكوموها كالتل ثم اضرموا فيها النار ودارو حولها ورفعوا ايديهم الى السماء، او وقدموا قرابين كالبقرة والغنم والحمير بل والناس كذلك، كما كانوا يذبحون لموتاهم الذبائح ويقربون لهم الخمر، وكان من سكان ممن يعبدون الحية، وممن يتخذون على باب مغاراتها عريشا يسكنه تعظيما لها، ويعلقون نفيس الثياب وحر المتاع على ذلك العريش، ويضعون له جفان الطعام وعساس اللبن والشراب.

وقد ورد على ما يدل على اهمية طبقة السحرة في السلم الاجتماعي الى السودان الغربي، فهم في مملكة غانة الوثنية المكلفون بإقامة طقوس دينهم والاشراف على الدكاكير، كما يدل طرد ملك ملل لهم بعد اسلامه بانهم يعتبرون القائمين على شؤون العبادات والطقوس، ولا شك بانهم كانوا يمدون العامة بما يزعمون انه ينفعهم او يضرهم من التمام والطلاسم الوثنية.²

كل ما سبق يعطي صورة على مدى حضور الدين في المجتمع السوداني، وهذه الطقوس والمعبودات رغم بدائيتها تعتبر معيارا صالحها لمدى التقدم الفكري لبعض المدن السودانية، مقترنة بغيرها التي وصف اهلها في المصادر العربية "متوحشون لا يدينون بدين ولا يكادون يفقهون قولا وهم بالحيوان اشبه منهم بالناس"، وهذه الاوصاف غالبا ما تطلق على الاماكن الجنوبية، ولكنها مقارنة بتطور الفكر الديني الوثني تعد جد بدائية.

¹ الناني ولد حسين، صحراء الملثمين دراسة لتاريخ موريتانيا وتفاعلها مع المحيط الاقليمي خلال العصر الوسيط من منتصف القرن 8/هـ الى نهاية القرن 11/هـ، بيروت، دار الدار الاسلامي، 2007، ص473.

² البكري، المصدر السابق 366.

المبحث الثاني: مجتمع السودان الغربي من الوثنية الى الاسلام

اولا: الاسلام في السودان الغربي

ثانيا: عوامل انتشار الاسلام

ثالثا: وسائل انتشار الاسلام

رابعا: مراحل انتشار السودان

المبحث الثاني: مجتمع السودان الغربي من الوثنية إلى الإسلام:

أولاً : الإسلام في السودان الغربي:

لقد توطن العرب بلغتهم منطقة الشمال الإفريقي، قبل بعثة النبي صلى الله عليه وسلم بقرون طويلة، حيث تعاقبت الهجرات نحو بحيرة كاو (تشاد) على وجه الخصوص، لموقعها الاستراتيجي بقلب القارة الإفريقية ثم تعزز وجود العرب واللغة العربية وتطور منطقة الساحل الإفريقي بدخول الإسلام سنة (47هـ/666م).¹

إن المتتبع لسير الدعوة الإسلامية يلاحظ أن الإسلام أول من تجاوز حدود مكة المكرمة، سطع بنوره على إفريقيا الشرقية. في عام (81هـ/639م) وهو العام الذي فتح فيه الصحابي الجليل عمرو بن العاص مصر، ثم نوبة عام (31هـ/651م) وبلاد المغرب في الفترة الواقعة بين (21و90هـ/326و708م)، فكان من البديهي أن يتسرب الإسلام إلى وسط وغرب القارة الأفريقية بعد أن انتشر انتشاراً شمال القارة، خاصة أن الإسلام رسالة عالمية لا تعترض سبيلها الحواجز الطبيعية من بحار وجبالا وصحاري، كما أن البحر الأحمر لم يكن ليحول بين المسلمين شرقي إفريقيا كذلك الحال بالنسبة لصحراء فلم تكن عقبة فكان الجمل وسيلة من وسائل النقل.²

فلقد أرسل عمرو بن العاص بعد إن فتح برقة سنة (21هـ/642م) وطرابلس سنة (23هـ/644م)، إلى فزان جيشاً يقوده نافع ابن عبد القيس الفهري ففتح زويلة وودان ومرزق وما جاورها، وترك فيها دعاة يعلمون مبادئ الإسلام وأمور الشرع والفقه. وبعد عودته ترك ابنه ابن نافع مع جيش المرابط في فزان وعمره لا يتجاوز عشر سنوات فنشأ وأصبح جندياً حريصاً على نشر الإسلام بين قبائل المنطقة، بجهوده وجهود والده يرجع الفضل في نجاح المسلمين في وصول إلى سواحل ليبيا وجبال تيبستي وتاسيلي وهو غار.

¹ عبادة عبد الفتاح، انتشار الخط العربي في العالم الشرقي والعالم العربي، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة (د)، (ت)، ص 11,5.

² الطبري أبو جعفر محمد، تاريخ الطبري، المسمى تاريخ الأمم والملوك، مج 1، ط 3، مؤسسة عز الدين للطباعة والنشر، بيروت، 1413هـ، 1992م، ص 481.

لقد وصل عقبه ابن نافع إلى بلمه عاصمة إقليم كوار عام 46هـ/666م وترك فيها دعاة مسلمون ماحلو بالمنطقة إلا حول أهلها إلى الإسلام.

فان عقبه بن نافع أول من حمل الطوارق على الإسلام وهو أول عربي وصل إلى هذه المنطقة ففتح الطريق أمام التجار العرب الذين بدأوا يخترقون الصحراء إلى مدينة أودغست، حتى إذا كان عهد موسى بن نصير نجده يتصل بمواطن الطوارق ويردهم إلى الإسلام.¹

فأزداد إقبال السكان المغرب الأقصى² إلى الإسلام وقد شارك عدد منهم في جيش الفتح المتجه إلى الأندلس فهذا يؤكد بما لا يدع مجالا لشك إسلام الطوارق في ذلك الوقت، ويعد إسلامهم نقطة تحول في تاريخهم وفي تاريخ الإسلام فأستعرب الأمازيغ مع انتشار الإسلام فنشروه وجاهدوا في سبيله في بلاد مجاوره لهم ودعموا جيوش الفتح المتجهة إلى الأندلس بقياده طارق بن زياد ونشروا الإسلام في صحراء جنوباً.³

فكان عمر بن عبد العزيز من اشد الخلفاء حماسة في إعلاء شأن الإسلام فأرسل في شمال إفريقيا عشره فقهاء ليفقهوا مسلمون العرب وكان إسلام الطوارق في القرن 3هـ/9م اثر بالغ في تاريخ السودان الغربي، إذ أسس إلى قيام حلف قوي يجمع الطوارق كلهم وأدى هذا التوحيد إلى القدرة على التوسيع والزحف باتجاه الجنوب لنرى الإسلام بين القبائل الزنجية ونجحوا في محاربه غانا وزحفوا حتى أودغست واتخذوها حاضنه لهم.

فترتب عن الاحتكاك المتصل بالهجرات أو التجارة أو الحرب إن تسربت المؤثرات العربية الإسلامية إلى غانا فذكر البكري الذي زارا هذه البلاد عام (460هـ/1067م) إن فيها حي يسكن فيه المسلمون وفيه 12مسجد وبيه عدد غفير من الأئمة والفقهاء.⁴

¹ سعد زغلول، فتح المغرب بين الحقيقة التاريخية والاسطورة الشعبية، مجلة كلية الآداب، الاسكندرية، 1964م، ص131، 135.

² محمود حسن احمد، دور العرب في نشر الحضارة في غرب افريقيا، المجلة التاريخية المصرية، القاهرة، 1968م ص54.

³ ابن الاثير، الكامل في التاريخ، مج9، دار صادر، بيروت، 1979، ص259.

⁴ البكري، المصدر السابق ص175.

وكان انتشار الإسلام بشكل أوسع يتوقف بمقدار علما حققه من الطوارق من وحدة وعزيمة على الجهاد لمقاومة الوثنيين في مملكة غانا ليفتح الباب للإسلام لينطلق إلى الغرب والجنوب كما وصل إلى السودان واد النيل بعد سقوط ممالك النوبة المسيحية. وقد تحقق الانتشار العربي الإسلامي في السودان الغربي بجهود المرابطين ودعوتهم التي انبثق بين الطوارق في أواخر القرن 11/هـ على يد زعيمهم عبد الله بن ياسين الذي وصل المنطقة ثم هجرا إلى جزيرة نائية في مصب السنغال وعاش هناك عيشة التصوف والزهد وكان الناس يسمعون أخباره فيرحلون إليه وينضمون إلى رباطه ومن هنا اتخذ إتباعه اسم المرابطين وبفضل قيادته الحكيمة الذي كان يمثل القيادة الروحية وبفضل القيادة السياسية والعسكرية الرشيدة لأمير المرابطين أبي بكر بن عمر تمكن من قياده المجاهدين في الجنوب.¹

وكان الدعاة المرابطين قد نشروا الإسلام في المناطق التي وصلوها بين السنغال والنيجر، وعلى ضفاف السنغال كما اسلم شعب التكرور أما القبائل التي لم تعتنق الإسلام فقد بحثت لها على أوطان أخرى فهاجر السرير صوب الجنوب، وهاجرت القبائل الأخرى باتجاه الغرب وهاجر الفولية إلى منطقة فوتاتور.

ومع المرابطين دخلت المؤثرات العربية الإسلامية والثقافة العربية من مدارس المغرب والأندلس فقد وحدو بين الأندلس والمغرب السودان الغربي في دولة إسلامية واحدة، وثم في عهدهم أعظم اثر ثقافي حينما تأسست مدينة تنبكت التي أصبحت فيما بعد حاضرة الثقافة العربية الإسلامية في السودان الغربي.

وفد كان الدين الإسلامي سريع النفاذ إلى قلوب الأفارقة، وضفر بثقة أهلها واستطاع بانتشار الإسلام في وقت المبكر، ففي النصف الأول من القرن 2/هـ 8م توغل الإسلام إلى القارة الإفريقية واعتنقه أهله.²

¹ الشكري احمد ،مملكة غانا وعلاقتها بالحركة المرابطية ،منشورات معهد الدراسات الافريقية ،الرباط 1997 ص77.

² تاديوز ليفينسكي ،دور الصحراء الكبرى واهل الصحراء في العلاقات بين الشمال والجنوب ،تاريخ افريقيا العام ،مج3،اليونسكو ،المطبعة الكاثولية ،بيروت ،ص309.

ثانياً -عوامل انتشار الإسلام في السودان الغربي

ما من شك في أن انتشار الإسلام في الشمال الإفريقي، كان عن طريق الفتح أيام الخليفة الراشد عمر بن الخطاب رضي الله عنه عندما أمر القائد عمرو بن العاص بالتوجه إلى مصر وفتحها في عام 19 من الهجرة، لكن انتشاره في السودان الغربي قد تم بالوسائل السلمية، إذا استثنى من ذلك الدور الريادي الذي قامت به دولة المرابطين بقيادة زعيمها الروحي عبدا لله بن ياسين وقائدها السياسي أبو بكر بن عمر (رحمهما الله) والذان سبق الإشارة إليهما. وكان هذا الانتشار السلمي والريع يعزى لجملة من العوامل والمزايا التي انفردت بها هذه العقيدة السمحاء عن الديانة المسيحية والمعتقدات الأخرى بشتى أشكالها.

وقد كانت بساطة العقيدة وسماحة الإسلام في مقدمة هذه العوامل، مما جذب إليه قلوب أهل المنطقة وحببهم في الدخول فيه.

وقام بهذه الرسالة الكبيرة العرب المسلمون، وساعدهم في ذلك الأمازيغ سكان شمال إفريقيا، حيث كانوا يفدون إليهم تجارا وفقهاء ومعلمين، وكانوا قد اخلصوا في الدعوة إلى الدين

وقوله تعالى: {لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ} ¹.

كما أن للإسلام مزايا اختص بها دون سائر الديانات والمعتقدات لان الداخل فيه لا يحتاج إلى جهد أو عناء، فانه بمجرد نطقه بالشهادتين، يصبح عضوا في المجتمع الإسلامي وينعم بجميع الامتيازات التي يتمتع بها المسلمين.

مما يؤكد إن الإسلام انتشر بين سكان السودان الغربي رعن رغبة واقتناع لاعن رهبة واكراه، انه لم تستطع الديانات والمعتقدات الأخرى من الصمود امام قوة حجته. لا لبيئات التي ينتشر فيها، ويخلق في كل منها طابعا محليا، فبعضها يرى فيها نظاما سياسيا يناسب تقاليدهم، فتؤمن به لتكافح كل من عاداها من الكفار، واخرى تراه نظاما اجتماعيا املا في الامن والاستقرار والرقي.

¹ سورة البقرة ، الآية 25.

يقول توماس ارلوند: "ولا شك ان ما كان يلقاه السود الوثنيون من ترحيب المسلمين بدخولهم الى الاسلام، هو الذي كان يرغبهم في الانضمام الى مجتمع ديني تتطلب حضارته التي تفوق حضارتهم ان يؤثرو التخلي عن كثير من عاداتهم وطباعهم البربرية، ومما يساعد في نفس الوقت مساعدة كبيرة جداً على تفسير نجاح هذا الدين، ان مجرد الدخول في الاسلام يدل ضمناً على الترقى في الحضارة، وانه خطوه جد متميزة في تقدم القبيلة الزنجية عقلياً ومادياً."

والاسلام لم يكتفي بإعطاء العقيدة للناس فحسب، بل كفل لهم حريه التعبير عن آرائهم. فكان اسلوبهم في الدعوة هو مقارعة الحجة بالحجة، بلطف وحكمه: {ولا تجادلوا هل الكتاب الإلآلتي هي احسن}.¹

والتفرقة العنصرية التي باعدت في افهام الزنوج بين الواقعية والمثالية ليس لها مكان في الاسلام، فهو لا يعرف الحواجز الطبقات، او الجنس او اللون. لا يحول بين زنجي مسلم وبين تمتع بحقوقه الساسيه والاجتماعية كاملة²، فبينما نرى الكنيسة المسيحية لا تسوي بين اتباعها من الافريقيين واتباعها من الاوروبيين، نجد الاسلام قد اخی بين سائر الاجناس، وكفل لاتباع الحرية والامان، حتى اصبح الافريقيون ينظرون الى الاسلام على انه دين السود، والمسيحية دين البيض، لذا وجد الاسلام اقبالا عظيما بين الامم الافريقية. ولاشك ان نجاح الاسلام قد تقدم في افريقية الزنجية تقدم جوهريا بسبب عدم كل احساس باحتقار الاسود.³

ومن العوامل المهمة التي يسرت انتشار الاسلام بالسودان الغربي هو نبذ العنصرية وقرار مبدا المساواة، ومما شجع اهل المنطقة على اعتناق الاسلام ان الاسود بمجرد اعتناقه للإسلام لم يعد يعامل على انه من الطبقة المنحطة وفي الوقت الذي يترفع فيه المبشرون المسيحيون عن الزواج من الزنجية خوفا من اثاره ابناي جلدتهم عليهم، نجد الدعاة والتجار المسلمين الى كل انحاء المنطقة وينفذون في سهولة الى الوثنيين ويحولونهم من الاسلام ويتزوجون من الزنجيات.

¹ سورة النحل، الآية 125.

² حسن احمد محمود، الاسلام والثقافة العربية في افريقيا، ص36،

³ حسن علي ابراهيم الشخي، المرجع السابق، ص200.

دعاء الاسلام الافريقي الى اعتناق الاسلام دون ان يتخلى عن هويته الافريقية الزنجية، لان من مبادئ الاسلام الحفاظ على تماسك الاسرة والقبيلة لتقوى شوكة الاسلام، اي ان اعتناق الاسلام قد اكتسب الطابع الزنجي الافريقي، لم يعمل على اسلمة افريقيا، اي تحلي الأفارقة عن هويتهم وتماسكهم وهو الهدف الذي سعى من اجله الاوروبيون، فيضمن لهم الاسلام التخلي عن كثير من العادات والموروثات غير المنطقية واللاأخلاقية وتضمن لهم الترقى في مضمار الحضارة عقليا وخلقيا وماديا.

لقد استطاع الاسلام ان يقضي على الكثير من العادات البربرية الهمجية، التي لم تستطع الصمود امام حجة الاسلام، ومن هذه العادات ما أورده (توماس ارنولد) حيث قال: "ان اقبح الرذائل وهي اكل لحوم البشر، وتقديم الانسان قربانا، وواد الاطفال احياء- تلك الرذائل التي نجد ما يبرر الاعتقاد بانها كانت في الوقت منتشرة في كل افريقيا، ولايزال في بقاع كثيرة منها، حتى تلك الجهات التي لا تبعد عن سواحل الذهب وعن مواطننا، -وقد احتفت فجأة الى الابد. والمتساكنون الذين كانوا يعيشون حتى ذلك الوقت عراة بدأوا يرتدون الملابس بل يتأنقون في ملابسهم، والمتساكنون الذين لم يغتسلوا قط من قبل، بدأوا يغتسلون، بل يكثر من الاغتسال، لان الشريعة المقدسة تامر بالطهارة، وهو فرض لا ينطوي على تأثير قوي جدا في غرائزهم التي جلبوا عليها".¹

كما ان الاسلام انسجم مع المفاهيم الأفريقية، والدوافع عن تحريم الخمر تحريما مقنعا، وابقى على نظام تعدد الزوجات الذي يسود مجتمعات الديانات التقليدية الافريقية، لكن مع التحديد، وبروط دقيقة، وقد ضيق الاسلام على المشتغلين بالرق، واجبرهم على العمل بالمكاتب، بل انه الغى كثيرا من موارد الرق، مما اقنع الافريقيين باعتناقه.

ولم يكن الدين الاسلامي تعاليم فحسب، لكنه دين وثقافة في زمان ومكان، لذلك ارتبط الاسلام بالعلم، وكان هذا الارتباط اثر عظيم في حياة الزنوج. فالزنجي عندما يعتنق الاسلام يتحتم عليه تعلم القراءة والكتابة، فترتفع مكانته الاجتماعية كلما زادت ثقافته والمامه بعلوم الدين والفقه.

¹ نعيم قداح، المرجع السابق، 98.

من العوامل الرئيسية التي جعلت الأفارقة يعتنقون الاسلام عن رغبة واقتناع وهو موقفه الحازم من الرق، فقد امر الله بالإحسان الى العبيد، وجاء الامر مقترباً بعبادته فقال تعالى: {واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً وبالوالدين احساناً وبذي القربى واليتامى والمساكين والجار وذو القربى والجار الجنب والصاحب بالجنب وابن السبيل وما ملكت ايمانكم ان الله لا يحب من كان مختالاً فخوراً} ¹.

وهكذا سارت الدعوة في السودان الغربي على نهج الحبيب المصطفى لذلك احس اهلي المنطقة ان الاسلام بالفعل يقوي الشعور بالوحدة، ولا يقيم وزناً لحواجز اللون والجنس، ويقوي الشعور بوجود الله وبوحدانيته وبقوته. ²

ومن مظاهر قوة الاسلام كونه جعل اللغة العربية، لغة القران، فكان الاسلام في افريقيا عنصر التوحيد، يقاوم عناصر الفرقة، وصل الاسلام الى افريقيا قويا موحداً لم تعتره المذاهب والخلافات المستحكمة بين الفرق، لقد انتشر في السوادان الغربي المذهب السني المالكي، مع بعض الاجتهادات والاتجاهات في بعض الحركة الدينية، وبهذه الصفة استطاع الاسلام ان يفرض نفسه على الافريقي المتعطش للخلاص والهدى وتتوق للكرامة والحرية والاحساس بالأهمية والكفاية في ضل مجتمع ترفرف عليه راية الاسلام. ³

ثالثاً - وسائل انتشار الإسلام في السودان الغربي:

لقد استطاع الاسلام ان ينتشر في السودان الغربي في وقت مبكر، واذا كانت بعض المناطق في العالم الاسلامي قد وصلها الاسلام وثقافته عبر وسائل محددة كالفتح والهجرات، فان القارة الافريقية قد تمثلت فيها معظم الوسائل تقريبا، غير ان وسيلة الفتح قد تميز بها الشمال الافريقي ولمدة محددة من الزمن. اما المناطق ما وراء الصحراء، ومنها السودان الغربي فان انتشر الاسلام بها كان سلمياً. ⁴

¹ صورة النساء الاية، 36.

² حسن ابراهيم حسن ،انتشار الاسلام في القارة الافريقية ،ص52.

³ حسن احمد محمود ، الاسلام والثقافة العربية في افريقيا ،ص37.

⁴ العبيدي عبد العزيز راشد ،وسائل انتشار الاسلام في افريقيا ،دراسة تاريخية ،مجلة الدراسات افريقية ،عدد6، الخرطوم، 1990م، ص37.

وعلى الرغم من ان وسائل انتشار الاسلام في السودان الغربي كانت محدودة الفعالية في نطاق ضيق منذ بداية تغلغل الاسلام والثقافة العربية في الشمال الافريقي حوالي النصف الاول من القرن (17/هـ) حتى فترة اعلان جهاد المرابطين في القرن (5/11م) فان رقعته مداها بعدئذ بدأت في اتساع مستمر حتى مجيء القرنين (10 و 11هـ/16 و 17م)، ومن الوسائل التي ساعدت في تغلغل الاسلام في قلوب الأفارقة هي:

1-الفتح: كان الفتح اول الوسائل التي اتبعها المسلمون لنشر العقيدة الاسلامية في الشمال الافريقي ومن ثم في السودان الغربي. وقد كان من اهداف الفتح، ازالة العولق والعقبات التي تحول دون وصول الدعوة الاسلامية الى الناس، لا اجبارهم على اعتناقه، ولا لتحقيق مأرب مادية واقتصادية، بل لنشر كلمة الله بالتي هي احسن ما امكن ذلك. لذلك نجد المسلمين منذ عهد الرسول الكريم (صلى الله عليه وسلم) يرسلون الرسل لدعوة الحكام والملوك لاعتناق الاسلام وعرض هذه الدعوة السحاء على شعوبهم. لهذا فكانت اول سمة للفتح الاسلامي انه لا يكره الناس على اعتناق ولكنه يعرضه عليهم ويترك لهم حرية الاعتناق وقبوله او البقاء على دينهم انك انو من اهل الكتاب، لان مبدأ الاسلام لا اكراه في الدين. ففي عهد الحليفة الثاني عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) توسعت رقعة الدولة الاسلامية وامتدت الفتوح الى المناطق افريقيا، ففتح عمرو ابن العاص مصر سنه (20هـ) والاسكندرية وبرقة سنة (21هـ) وطرابلس الغرب سنة (22هـ).¹

2-الدعاة والمعلمون: لقد انتشرا الاسلام وهو دين الفطرة بكل عفوي وكان الدعاة والفقهاء والمسلمون وحيثما حلو دعاة الى الله سلاحهم القدوة الطيبة والاسوة الحسنة، ينتشرون الاسلام فرادى وجماعات عزلا غير مسلحين، واكبر نشاط قام به الافراد في ميدان الدعوة وهو الدور الذي قام به افراد اكتسبوا حظا من التعليم الديني، فبعضهم يسمى المرابط او الفا او المعلم او الفقيه، وكل من الالقاب مدلولها واحد. وهؤلاء الناس يظفرون بنصيب وافر من الاحترام والتبجيل في المجتمعات التي يعيشون فيها. وهم اينما ذهبوا يعاملون بأعظم مظاهر الاحترام وفي استطاعتهم التنقل في حرية مطلقة

¹ السيوطي جلال الدين ،تاريخ الخلفاء ،ادارة الكتب العلمية ،بيروت ،(د، ت)،ص105.

ومن قرية الى اخرى، ويصف ارنولد ما تحظى بيه هذه الجماعة من تقدير في مجتمعات السودان الغربي بقوله: "هؤلاء المعلمون الدينيون، او المرابطون او الالوفا كما يطلق عليهم بحسب اختلاف اسمائهم يحظون بأوفى نصيب من التقدير. وفي بعض القبائل افريقيا الغربية تضم كل قرية دار لاستقبالهم، ويعاملون بأعظم مظاهر الاحترام والتقدير.

لقد واكبت الدعوة الاسلامية حركة الفتوح، اذ كان من بين رجال تلك الحملات العسكرية العديد من الدعاة والعلماء الذين توغلوا داخل السودان الغربي، فوصف البكري مملكة غانا الوثنية مؤكداً على وجود علماء وفقهاء بهذه المملكة¹، فركز هؤلاء الدعاة اهتمامهم على اقناع امراء القبائل والسلاطين لانهم يعلمون ان نجاحهم في اقناع الملوك والسلاطين يعني ان اقوامهم سوف يقتفون اثرهم في اعتناق الاسلام لذلك نجد ان الشعوب على دين ملوكهم، فكثير من ملوك السودان الغربي قد اعتنقوا الاسلام على يد الدعاة المسلمين.

ونظرا للجهود التي قام بها الدعاة في الاسودان الغربي، اصبحت لهم حظوة لدى ملوكهم فقد اشار القلقشندي الى ان ملوك مالي ورعاياهم متمسكين بالاسلام واستقدموا الفقهاء والعلماء من بلاد الاسلامية وتفقوهو في الدين.

ومن العلماء الذين عاشوا في السودان الغربي، وادوا دورا فاعلا في تاريخه الفقيه ابراهيم الخضر الفاسي، الذي وصل الى المنطقة قادما من بلاد المغرب، والفقيه علي عبد الجبار اليميني، والفقيه موسى الاموي.

وهكذا حضي الدعاة والعلماء والفقهاء في السودان الغربي بمكانة خاصة وتبوؤا اعلى المناصب بهذه المناطق، فيتضح مما سبق ان الاسلام انتشر في السودان الغربي بوسائل سلمية مثل الدعاة والتجار والهجرات وغيرهم.²

3-التجارة: ومن الملاحظ ان معرفة اخبار بلاد السودان الغربي تمت على يد العرب حيث بدأت تصل اخباره بشكل مباشر، ومستمر عن طريق الحجاج والتجار القادمين

¹ البكري، المصدر السابق، 175.

² حسن علي ابراهيم الشيعي، المرجع السابق، ص221، 222.

منها او العائدين اليها. فقد ادت التجارة دورا مهما ورئيس في ربط الصلات بين العرب في المشرق العربي وشمال افريقيا وشعوب بلاد السودان الغربي ووسطه، كما هو الحال مع شعوب شرق القارة، وقد زاد دور الاتجار اهمية خلال الفترة التي شهدت قيام سلطة مركزية توفر الامن والاستقرار خصوصا في فترة ازدهار مملكتي مالي والسنغاي الاسلاميتين الممتدة من القرن الثالث عشر وحتى نهاية القرن السادس عشر الميلادي، حيث امتد نفوذهما على معظم الطرق التجارية القادمة من الشمال الإفريقي والمتجهة جنوب الصحراء، وتعاضم نشاطهم التبشيري من خلال ازدياد نفوذهم السياسي في الأوساط الحاكمة واتصالهم بمختلف فئات الشعب، فأصبح الإسلام بمثابة تصريح ضروري لمن يريد ممارسة حرفة التجارة بنجاح مع الممالك الإسلامية في السودان الغربي.¹

وقد كانت بداية دخول الإسلام إلى غانا على يد التجار المسلمين وهو ما أكدته البكري عندما وصف غانا.

وكان التجار المسلمون يمثلون حلقة الوصل بين إفريقيا والعالم الإسلامي، وقد كانت حركه التجار تتميز بالحيوية ولنشاط ويذكر السلاوي الناصري إن تجار المغرب كانوا يجتمعون في سجلماسة حاضرة بني مدرار، ثم يسيرون في قوافلهم إلى غانا.

أما ابن حوقل فإنه يشير إلى أن الصلات التجارية مستمرة بين الشمال الإفريقي وبلاد السودان الغربي وسائر البلاد²، ولقد واكبت الدعوة الإسلامية التجارة، فحيثما وصلت التجارة انتقلت معها المؤثرات الثقافية العربية الإسلامية، يشير المستشرق توماس ارلوند إلى أن التجارة والثقافة العربية الإسلامية في السودان الغربي مرتبطتان كل الارتباط ورغم قسوة بعض العوامل الطبيعية، فقد كان لطرق والمسالك التجارة دوراً هام في نقل المؤثرات العربية الإسلامية إلى وسط القارة الأفريقية وغربها.³

¹ ابن شقرون مصطفى دور التجار المسلمين في نشر الاسلام بغرب افريقيا في العصر الوسيط ،اعمال ندوة التواصل الثقافي والاجتماعي بين الاقطار الافريقية على جانبي الصحراء ص61،60.

² ابن حوقل ،المصدر السابق ،ص96.

³ قاسم جمال زكريا، الاصول التاريخية للعلاقات الافريقية، دار الفكر العربي، القاهرة 1996م، ص155.

وغني عن البيان إن الإسلام انتشر في كل مكان وصل إليه التجار المسلمون في العصر الإسلامي الأول، فتاجر المسلم كان داعية إلى دينه أما بطريقة مباشرة من خلال ممارسة الدعوة أو بطريقة غير مباشرة، وذلك نتيجة اختلاطه وتعامله مع التجار الوثنيين فيجذبهم إلى دين الإسلام، كما كان لتجار الفولاني والهوسا والتكرور دورا كبيرا في نشر الإسلام، فقد كان هؤلاء التجار ينزلون في الأسواق الكبرى أو المراكز التجارية ثم يحتكون بالزنوج عن طريق التجارة ويؤثرون فيهم بنظافتهم وأمانتهم وسلوكهم الشخصي وغالبا ما ينتهي هذا الاحتكاك بدخول كثير هؤلاء الزنوج في الإسلام.¹

ويؤكد (هوبير ديشان) في معرض تناوله لانتشار الإسلام بشكل خاص مبتدئاً بالطبقات العليا فيقول: "...وكتيراً ما أنتشر الإسلام بتمدد السلمي البطيء من إلى قوم، فكان إذ ما اعتنقته الطبقة الارستقراطية، وهي هدف الدعاة الأول تبعثها بقيه القبيلة ". لقد أسهم التجار المسلمون بمن فيهم المغاربة بدور الكبير في عملية التبادل التجاري مع بلاد السودان وحمل هؤلاء التجار سلع المغرب ومعها العقيدة الإسلامية ونشرها في السودان الغربي وأسسوا بيها مراكز تجارية، سرعان ما تحولت إلى مراكز ثقافية إسلامية، وارتبطت بعض البيوت المغربية بهذا النشاط التجاري فيها مثل آل المقرري الذين كونوا أعمال تجارية تخدم التجارة بين المغرب وبلاد السودان الغربي وتتخذ من مدن سجلماسة وتنبكت ومالي مراكز لها، كما كانت تنبكت هي الأخرى قبلة للتجار والعلماء من كل حذب وصوب.

وبالإضافة إلى الدور الذي أداه التجار في نشر الإسلام ونقل المؤثرات العربية الإسلامية إلى السودان الغربي، فإن طرق القوافل المراكز التجارية كانت شرياناً رئيسياً للحياة الاقتصادية في المنطقة، وكانت أهمية الطرق العابرة للصحراء، تتغير حسب الظروف السياسية التي تعيشها المنطقة وطبقا لقيم الدول وانهيارها، ففي عهد مملكة غانا كانت المسالك الغربية أكثر أهمية وحيوية، وبانهيار وقيام مملكة مالي، انحرفت

¹ حسن احمد محمود، المرجع السابق، ص48.

هذه الطرق شرقاً، أما في عهد مملكة سنغاي، قد ضعفت أهمية الطرق الغربية، ونشطت الطرق الشرقية عند قيام مملكة الهوسا.¹

وان كان إلى هؤلاء التجار دور هام في نقل الإسلام والمؤثرات العربية الإسلامية إلى منطقة السودان الغربي، فان انتشار الإسلام والثقافة العربية قد أدى هو الآخر إلى مضاعفة النشاط التجاري بين الشمال الإفريقي وغربه فاقترنت التجارة بالعلم، وبهذا أصبح التجار يشكلون فئة متميزة في المجتمع.

4-الهجرات: لقد كان للهجرات القبلية الجماعية صوب السودان الغربي، واستيطانهم للمراعي حول أحواض الأنهار والسهول والمدن، واندماجهم ومصاهرتهم للأفارقة بالغ الأثر في نشر الإسلام وثقافته. هذي الهجرات والاتصالات كانت ظاهرة واضحة من القرن الأول ميلادي، غير إن لم تكن تتجاوز مجرد الانتقالات الموسمية في قبائل المغرب عند أطراف الصحراء، والاحتكاك ببعض مراكز الأمامية التي أنشأتها الشعوب الزنجية أو مجرد غارات لاقتناص العبيد، إضافة إلى بعض اتصالات التجارية بين المغرب وأسواق إفريقيا.

عند بسط العرب نفوذهم على المغرب تغير طابع هذه الهجرات، بحيث أخذت هذه القبائل تتحرك باتجاه الجنوب من أجل الإقامة الدائمة، وهذا التحول سببه أن الرومان لم يكن نفوذهم يتوغل بعيدا عن الشريط الساحلي، وحصنوا مدنهم خوفا من القبائل البدوية، أما العرب فقد اخضعوا البدو لسلطانهم وأصبح هؤلاء البدو جزءاً من العالم الإسلامي.

هذا وقد كانت القبائل تزداد في بحثها كلما تعرض المغرب لمشاكل سياسية، كانت تحي حياة مستقلا ذات طابع حربي من اجل حفاظها على كيائها من التفكك، وكانت تعتمد على تربية الماشية والإبل وتربية الخيل ن كما كانت تعمل على توسيع نفوذها على حساب أوطان الزنوج بعد أن وصلوا مواطنهم في ادرار، وتكتفي هذه الجماعات البدوية بالإخضاع الشعوب الزنجية بقوة السلاح ثم تفرض عليهم جزية، ثم يتم الاختلاط

¹ حسن علي ابراهيم الشيعي، المرجع السابق، ص231.

التدريجي مع السكان المحليين وتنشأ طبقه من المولدين تتولى مقاليد الأمور تتعلم من سادة الأمس شؤونهم العسكرية ونضمهم الاجتماعية والدينية.¹

وكان سكان الصحراء الأمازيغ الذين أدو دورا مهما للغاية في إقامة علاقات بين الشمال الإفريقي والسودان من ناحية أخرى، ينتمون إلى فرعين من البربر، هما فرعا صنهاجة ببطونها المتعددة والغزيرة في الصحراء وزناته، وكانت قبائل صنهاجة على وجه الخصوص رحلا يحترفون تربية الماشية، الأغنام والماعز، اما زناته وجماعات البربر الاخرى القريبة من هذا الفرع مثل مزاته ولواته، فكان جزء منها من الرحل والآخر من المستقرين، ويرجع ليفيتسكي

ان فئات من هذه الجماعات هي التي أسست في فتره لاحقه لسيطرة الرومان واحات سوف ووادي ريغ وورجله.²

يذكر ابن حوقل انه توجد قبائل من البربر، الموغلة في براري سجلماسة أودغست ونواحي لمطة وتادمكة وفزان، اما قبائل البربر المغرب فيصعب حصرهم بكثرة بطونهم وتشعب أفخاذهم وقبائلهم وتوغلهم في البراري وتبدهم في الصحاري، وكلهم من صنهاجة وقوام حياتهم الرعي.³

وقد بدا اعتناق البربر الاسلام في النصف الاول من القرن (2/هـ8م).والجدير بالذكر ان الكثير من هذه القبائل الصنهاجية قد انتقلت من مواطنها في الشمال الافريقي وانساحت باتجاه الجنوب، ووصلت الى الاطراف الشمالية لبلاد الشنقيط، ومنها انتشرت في الصحراء وبلاد السودان الغربي، لقد كان لقبائل البربر والطوارق او ما يسمى بالملثمين، الدور الاله والابرز في نقل الاسلام بعد اعتناقهم له من خلال قيامهم بدور الوسيط بين المغرب الاقصى والسودان الغربي، وكان لهم القدح المعلى في حمل الاسلام الى تلك المناطق، والامر الذي ساعدهم في القيام بهذا الدور الريادي هو

¹ حسن احمد محمود ،المرجع السابق ،ص 51 .

² حسن احمد محمود ،المرجع السابق ،ص52.

³ ابن حوقل، المصدر السابق، ص 84، 95.

انتشارهم في وطن متسع يمتد جنوب النطاق الجبلي الذي يخترق الشمال الافريقي من الشرق الى الغرب.¹

هكذا كانت هجرات صنهاجة بفروعها المختلفة ولاسيما مسوفة وجداله ولمتونه، من أول الهجرات التي زحفت اتجاه بلاد السودان الغربي والتي أدت ادوار مهمة في حياة المنطقة، ومن ضمن الهجرات العربية أيضا هجرات بني هلاله وبني سليم إلى ديار المغرب في القرن (5/11م)، وقد انساحوا في البلاد حربا وهجرة وإقامة دائمة، رحلا ومستقرين، وزراعا وراعاه وحكاما ورعية، واختلطوا بالسكان وكثر عددهم، وتصاهروا معهم فاختلطت دماؤهم وأنسابهم، واعتمروا السهولة والواحات وأعالى الجبال وبطون الصحراء حتى امتدت عروقهم إلى بلاد السودان الغربي وامتزجوا بأهله. بالإضافة الى الهجرات التي هدتها منطقة سيلا وهم البدو المنطلقين من الشمال الافريقي التي ادت تحركاتهم الى نشر الاسلام.

ومن الجماعات القبلية التي نزحت باتجاه السودان الغربي نجد قبائل بني حسان وقبائل اولاد رزق وعقبة وأولاد داود بن عمران وكانت من أهم نتائج هذا النزوح الانتشار الواسع للغة العربية والثقافة الإسلامية على حساب اللغات ولهجات المحلية في المنطقة، بالإضافة إلى هجرات الفولاني وهي من الهجرات الهامة في تاريخ السودان الغربي.² فعند وصول قبائل كنته إلى السودان الغربي انتشرت الطريقة القادرية ولم يمضي وقت طويل حتى انتشر الدعاة والفقهاء وخالفوا القبائل الوثنية التي استقبلتهم بالترحاب باعتبارهم دعاة ومعلمين يدعون إلى الدين والعلم.³

5-الحج: الحج فريضة إسلامية مرة في العمر، والرحلة إلى الحج تكون ضمن قوافل تنظم لذلك تشرف عليها السلطة أو الدولة ومازالت حتى اليوم، وبما أن هذه الرحلة تحتاج إلى وقت قد يستغرق أكثر من سنة فإنها ترفق بحركة تجارية وعلمية، وقد كانت بلا الغرب الإسلامي.

¹ البكري، المصدر السابق، ص174.

² عنان محمد بن عبدالله، نهاية الاندلس، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، 1964م، ص127.

³ حسن ابراهيم حسن، المرجع السابق، ص43.

تنظم قوافل الحج مثال ذلك ركب الحج الذي كان يخرج من قسنطينة ويقوده شيخ الإسلام ابن الفقون أمير ركب الحج، وكانت تنظم في بلاد السودان الغربي قوافل أو ركب الحج على غرار ما كان في بلاد المغرب الأقرب والأكثر تأثيراً، ولاريب أن مواكب الحج كانت يحضر لها تحضيراً جيداً تصحبه ضجة كبيرة تؤثر في النفوس وترغبها في المشاركة فيه هذا عند الذهاب أما عند العودة بعد طول غياب، فكان الاستقبال وكانت الاحتفالات والحكايا وهو ما أبهر الوثنيين خاصة وأن هؤلاء الذين سافروا للحج تزداد ثقافتهم من خلال لقائهم بإخوانهم من المسلمين من مختلف الأجناس والثقافات، وتتدعم معارفهم، وترتفع مكانتهم، فكان هذا الانبهار أحد العوامل الأساسية في الإقبال على الإسلام.

ومن أشهر قوافل الحج في بلاد السودان الغربي هي التي خرجت من السودان الغربي سنة 723 هـ / 1323 م ترأسها منسى موسى في موكب كبير قيل ضم عشرة آلاف حاج، تحمل كميات كبيرة من الذهب الخام (التبر) أهدى منها إلى سلطان مصر، وساعد بجزء آخر فقراء مكة والمدينة. وقد أصبحت هذه القوافل عادة لا يتخلى عنها سلاطين المنطقة، من ذلك ما قام به سلطان سلطنة صنغي التي خلفت سلطنة مالي أسكيا محمد الأول عام هـ / 495م 1101، كما أدى سلاطين كانم، وبرنو الحج ثلاث مرات، وتوفي بعضهم أثناء الرحلة إلى الحج.¹

رابعاً - مراحل انتشار الإسلام في السودان الغربي:

1 — المرحلة الأولى: تميزت هذه المرحلة بالاتصالات المستمرة المتنوعة في الفترة التي سبقت القرن 5 هـ / 11م، في الصحراء الكبرى لم تكن في وقت من الأوقات حاجزاً طبيعياً يعوق التواصل بين دول الشمال الإفريقي وجنوبه، بل كانت شعابها وفجاجها تعرف حركه تجارية بريه دؤوبة ومتصلة، يصعب تحديد بواذرها وإرهاصتها الأولى، فكانت طرق القوافل، القليلة ن الصعبة، التي تتخلل هذه الصحراء، طرقاً مألوفة في العصر الإسلامي لتجار من المغرب وإفريقية (تونس الحالية) ومصر ومختلف المراكز

¹ كعت، المصدر السابق، ص96.

التجارية في الصحراء الشمالية. وكان الدور الرئيسي في هذه التجارة بين بلدان الشمال الإفريقي والسودان يقوم بيه على وجه التحديد تجار الشمال الإفريقي إلى جانب تجار من الأمازيغ الإباضيين القادمين من بلاد الجريد وسجلماسة.

الاختلاف، ففي الصحراء الغربية والوسطى سكانها من أصل أمازيغي مختلطون بدم إفريقي من السود أما الصحراء الشرقية بما فيها من الصحراء الليبية، فكان سكانها من أصل أمازيغي بينما كان سكان جزئها الجنوبي أقوام يشبهون الزنوج ينتمون إلى جماعات مختلفة من التوبو، من الزغاوة والتيده والذره ن وكانت هذه الأقوام تتمدد إلى الشمال حتى واحة الكفرة وواحة تازربو.

وكان هؤلاء السكان قد أدوا دوراً في إقامة العلاقات بين الشمال وجنوب الصحراء من خلال التصاهر والاختلاط بسكان السودان فبدأ الإسلام ينساح في هذه المناطق بشكل تلقائي وسلمي.¹

2— المرحلة الثانية وهي نشر الإسلام بين قبائل المغرب الأقصى: تلك التي قام بها المرابطون، فقد ذكر ابن أبي زرع، إن المرابطين ساور حتى وصلوا إلى بلاد السوس، فغزوا جزولة وفتحوا مدينة ماسة ورودانة وجميع بلاد السوس، وكان بروادانة قوم من الروافض يقال لهم البجلية وهم ينتسبون إلى عبد الله البجلي الرافضي، كان قدم إلى السوسي حين قدم عبد الله الشيعي إلى إفريقية، فأشاع هناك مذهبه فورثه بعده جيلاً بعد جيل، لا يرى أصحاب هذا المذهب الحق إلا ما في أيديهم ما عداه باطلاً، فقاتلهم المرابطون، وفتحوا مدينتهم وقتل كل من بيها من الروافض، وظهر الله المرابطين وأعلى كلمتهم، ففتحوا معاقل بلاد السوس، وأطاعتهم جميع قبائلها، ثم ارتحلوا إلى بلاد الصامدة ففتحوا جبل درن ورودة، كما فتحوا مدينة شبشاوة بالسيف وبلاد نفيس وسائر بلاد كدميوه واثاه شيوخ قبائل رجراجة وحاحة فبايعوه، ثم سار إلى اغمات ففتحها وفر أميرها لقوط بن يوسف ابن علي المغراوي في (449هـ/1058م). كما فتتح المرابطون تادلة وقتل من وجد بها من بني يفرن، ثم بلاد تماسنا، التي يعيش بسواحلها قبائل

¹ حسن علي ابراهيم الشيعي، المرجع السابق، 190، 189.

برغواطة وكانوا من المجوس الكفار فدارت بينهم وبين المرابطين حروب عديدة مات فيها من الفريقين خلق كثير، واستشهد فيها الشيخ الإمام

عبد الله من ياسين الجزولي في جمادى الأولى من عام (451هـ/ يوليو 1059م) حيث دفن بموضع يعرف بكريفة بتامسنا وبني على قبره مسجداً¹، فتولى من بعده القيادة السياسية والروحية للمرابطين الأمير أبو بكر بن عمر، الذي أدى دوراً أساسياً ومتميزاً في مسار الحركة المرابطية بعد استخلافه لابن عمه يوسف ابن تشافين على جناح الشمالي للدولة عام (453-480هـ/ 1061-1087م)، واهبا نفسه للجهاد في سبيل الله في أنحاء الجنوب، فذكرت المصادر نشأة هذه الحركة والأطوار التي مرت بها واهم انجازاتها في نشر الدعوة الإسلامية ومن ابرز مراحلها الجهادية فتح حاضرة مملكة غانا الوثنية (كومبي صالح) عام (469هـ/ 1076م).²

ولما كانت مملكة غانا الوثنية تشكل عقبة أمام التوسع الإسلامي جنوباً، فقد جاء إليها المرابطون في النصف الثاني من القرن (5/ 11م) وبدأوا حركتهم بإخضاع أودغست عام (447هـ/ 1055م) ثم واصلوا زحفهم على غانة واستولوا عليها (469هـ/ 1076م). وفي ذلك يقول القلقشندي: "إن هذه الممالك كانت بيد ملوك متفرقة، وكان من أعظمها مملكة غانا، فلما أسلم الملتزمون من البربر (الأمازيغ) تسلطوا عليهم بالغزو حتى دان كثير منهم بالإسلام وأعطى الجزية آخرون، وضعف بذلك ملك غانة واضمحل"³، أما ابن خلدون فإنه يورد بأن الملتزمين أي (المرابطين) كانوا قد دخلوا القبائل الصحراوية وجاهدوا من بها من أمم السودان وحملوهم على الإسلام فدان به كثيرهم واتقاهم آخرون بالجزية فقبلوها منهم.⁴

ومن نتائج غزو المرابطين لغانا الوثنية إنها ساعدت هذه الحركة على إضعاف النفوذ السياسي لغانا، كما ساعدت على نشر الدين الإسلامي في مناطق السودان الغربي فقامت

¹ بن أبي زرع، المصدر السابق، ص 123، 122.

² إبراهيم علي طرخان، المرجع السابق، ص 46.

³ القلقشندي، المصدر السابق، ج 5، 281.

⁴ ابن خلدون، المصدر السابق، ج 6، ص 181.

ممالك إسلامية لها مكانتها وحضارتها وازدهرت في كل من غانا ومالي وسنغاي وكانم وبرنو.

وقد ظفر الدين الإسلامي واللغة العربية بنجاح كبير في هذه الممالك، واقتترنت العصور التاريخية بالسودان الغربي بالإسلام الذي كان العامل الأساس لقيام هذه الممالك.

ومن الآثار الايجابية التي خلفتها حركة المرابطين:

- انتشار الثقافة العربية الإسلامية بين شعوب المنطقة.
- تمكن العقيدة الإسلامية على المذهب السني المالكي.
- تأسيس مدينة تنبكت في القرن (5/11م) على أيدي طوارق فأصبحت حاضرة إسلامية يفد إليها طلاب العلم والفقهاء.
- اعتناق العديد من السلاطين والملوك للعقيدة الإسلامية من بعدهم الرعية.
- انتقال ممالكهم من الطور الوثني إلى الطور الإسلامي.¹

3 — المرحلة الثالثة وهي انتشار الإسلام في قبائل الماندينجو: لانتشار الإسلام في السودان الغربي فتميزت بكونها محلية حيث تولت قبائل الماندينجو المؤسسة لمملكة مالي الإسلامية نشر العقيدة الإسلامية بين القبائل والشعوب المجاورة، ويرجع الفضل في نشر الإسلام لقبائل الماندينجو في بلاد الهوسا في القرن (8/14م) عندما قدم بعض من فرع الونجارا² إلى كانوا في بداية القرن (8/14م) وبشرو ملكا بالإسلام، فاسلم ومن معه من قومه، وبذلك الدين الإسلامي ينتشر بين قبائل كانوا، ولكن الإمارات الأخرى ظلت على وثنيته.

وفي النصف الثاني في القرن 15م حدثت تغييرات حاسمة في تاريخ بلاد الهوسة، فقد حكم في هذه الفترة ثلاثة من الحكام عاصر بعضهم البعض في فترة لا تقل على 25عام، وهو محمد كورو في كاتسيا فقام بنشر الدعوة الإسلامية ويقال انه أول سلطان وأول مسلم في هذه السلطنة فشجع كاتسيا العلماء المسلمين مما ساعد على استمرار انتشار الإسلام في مناطق مختلفة. والثاني محمد رابوا في زاريا، والثالث محمد رمفة

¹ عبد الرحمان السعدي، مصدر السابق، ص53.

² تسمية أطلقتها جماعات الهوسا على الماندينغ، وتعني بيها فرعين من قبائل الماندينجو وهما السوننك والديولا سينظر ابراهيم طرخان، دولة مالي الإسلامية، ص28.

في كانوا فكان أول سلطان يسير طبقاً لشرعية الإسلامية. وترجع أهمية هؤلاء الحكام إلى الدور الذي أدوه في نشر الإسلام في بلاد الهوسا.¹

4— المرحلة الرابعة: أما في هذه المرحلة فقد تكونت فيها علي يد مملكة سنغاي الإسلامية حركة محلية ذاتية، إذ أن السنغاي هي بطبيعة الحال وريثة مملكة مالي الإسلامية في تلك الأصقاع، وقد أخذت على عاتقها مهمة نشر الإسلام بين القبائل الوثنية، وقد توسعت هذه المملكة في عهد سني علي الذي اعتلى العرش عام (889هـ/1464م).²

ورغم الدور الكبير الذي قام به سني علي المؤسس الفعلي لمملكة السنغاي الإسلامية، فإنه تعرض لتجريح العديد من المصادر التاريخية التي كثيرا ما تصفه بالطاغية والفاسق والفاجر.

ومن ابرز هذه المصادر التي انتقدته تاريخ الفتاش للشيخ محمود كعت الذي قال فيه: "...ثم حاف سليمان نار الظالم الفاجر والملعون المسلط شي عال وهو آخرهم ملكا الذي سارت الرفاق بقبح سيره وكان منصورا ومأقابل ارضا قصده إلا خربه وكسر له جيش كان فيه قط غالبا مغلوب. ..وهو سلطان جبار قاسي القلب يأمر بإلقاء الطفل في المهراس ويأمر أمه إن تدقه وهو حي ويطعمه للخيل وكان فاجر فاسقا، كما أن عبد الرحمان السعدي وصفه بقوله: "...وأما الظالم الأكبر الفاجر الأشهر سني علي...فإنه كان ذا قوة عظيمة ومتينة جسميه ظالماً فاسقاً متعدياً متسلطاً سفاكاً للدماء قتل من الخلق ما لا يحصىه إلا الله تعالى وتسلط على العلماء والصالحين بالقتل والإهانة والإذلال."³

وبالرغم من هذه الصفات والنعوت التي نعت بها سني علي فإنها لم تجزم بكل قطعي بعدم إسلامه فمثلا محمود كعت يقرر بأن سني علي كان ينطق بالشهادتين، كما انه كان يؤدي فريضة الصوم ويصلي صلاة العيد، كما أن عبد الرحمان السعدي نجده يقر هو الآخر بان السني علي كان يردد دائما فضل العلماء في الدين والدنيا، ويقول إلياس سعد: "ان سني علي كان يخصص ساحات لأداء الصلاة في الشهر المبارك".

¹ حسن علي ابراهيم الشخي، المرجع السابق، ص193.

² عبد الرحمان السعدي المصدر السابق، ص22.

³ نفس المصدر، ص64.

فأستطاع سني علي أن يؤسس مملكة مترامية الأطراف في اقل من ثلاثين عاماً فاتحاً لأمصار، مركز لسلطاته الإدارية والتنظيمية. في عام (899هـ/1492م) توفي سني علي بينما كان عائداً من احد غزواته، فتولى احد أبنائه وهو أبو بكر داعو.¹

5 — المرحلة الخامسة: تعتبر مرحلة مكملية لمراحل انتشار الإسلام لذلك لم تهمل فقد قادتها قبائل الفولانيين زمن ازدهار مملكتهم، بعد أنا نجح الشيخ عثمان بن فودي في تأسيس مملكة فنية في السودان الغربي اتخذت من مدينة سكوتي عاصمة لها عاصمة لها ومن الدين الإسلامي وشريعته نمطا وأسلوبه للحياة، فترتب على ذلك قيام مجتمع الإسلامي.

وعلى الرغم من تأثر ثقافة الهوسة بالدين الإسلامي، إلا أن السكان لم يتحرروا تماماً من معتقدات أسلافهم القديمة، حيث مارسوا الكثير من البدع والعادات الوثنية، وضل الحال كذلك إلى أن جاء الزعيم الديني عثمان بن فودي فأعلن الجهاد في عام (1804م) ضد السلطان جويبر وترتب عن ذلك عدة حروب قضت على أمراء الهوسا، وقيام نظام جديد يدين بالطاعة والولاء للأمير المؤمنين في سوكتو. وكان الهدف من الجهاد هو السعي نحو نقاء العقيدة الإسلامية مما شابها من بدع وتقاليد، مثل وضع التراب فوق رؤوسهم عند التحية، وضرب الطبول والمزامير وشرب الخمر وغير ذلك من العادات القبيحة التي لا تمت للدين الإسلامي بصلة.

وهكذا فقد تميزت هذه المرحلة بنشر الاسلام واللغة العربية في المناطق المجاورة وكذلك تصحيح العقيدة الاسلامية مما علق بيها من روايب وثنية شوهت جوهر العقيدة وما حركت عثمان بن فودي الا لأجل هذا الغرض.²

¹ عبد الرحمان السعدي، المصدر السابق، ص88، 84.

² عبدالله عبدالرزاق ابراهيم، المرجع السابق، ص200.

المبحث الثالث: **المؤثرات الإسلامية في السودان الغربي**

- أولاً: التأثير في الملبس.
- ثانياً: التأثير في المأكل والمسكن.
- ثالثاً: التأثير في الأسرة.
- رابعاً: التأثير في الختان.
- خامساً: التأثير في المناسبات الدينية.
- سادساً: التأثيرات السياسية.
- سابعاً: التأثيرات الاقتصادية.
- ثامناً: التأثير الثقافي.
- تاسعاً: مدى تأثير الإسلام في عادات وتقاليد مجتمع السودان الغربي.

المبحث الثالث: المؤثرات الإسلامية في السودان الغربي

لقد كان تأثير الثقافة العربية الإسلامية على مجتمعات السودان الغربي قبل القرن (11هـ/5م) متواضعا، ولم يبدأ التأثير الفاعل إلا بعد حركة المرابطين وقيام المراكز التجارية والعلمية في هذه المنطقة، التي لم تزدهر بعد قيام الممالك الإسلامية، ساهمت بدورها في تنشيط الحركة التجارية والثقافية في هذه المراكز.

وكان ضعف هاذ التأثير بسبب حداثة عهد شعوب المنطقة بهذا الدين، ولغياب السلطة الرسمية التي يقع على كاهلها مهمة توصيل الدعوة للإسلام بصورة منتظمة وواضحة، إذا كانت الدعوة للإسلام قبل القرن (11هـ/5م) تقوم على كاهل دعاة كانوا يباشرون مهمتها في أوساط القبائل وفي المساجد القليلة. ونتج عن هذه الفترة تعليم عدد من الأفارقة قراءة القرآن وحفظه إلى جانب العبادات وآداب السلوك الديني والأحوال الشخصية والمعاملات.

وتعايشت الثقافة الإسلامية على الاسس الفكرية التقليدية لأهل السودان الغربي التي كانت تطفو على السطح من بين التنايا التمازج الثقافي المتواصل، وهي اسس فكرية تعتمد في جزء كبير منها على المفاهيم السخرية وعلى الخرافات المتوارثة، التي ظلت فترة من التاريخ تسيطر على عقول الشعوب الإفريقية جنوب الصحراء وعلى علاقاتهم الاجتماعية بشكل عام. وبدأت هيمنة المفاهيم السخرية في التلاشي مع بداية القرن (13هـ/7م) عندما كرس الملوك جهودهم من اجل القضاء على هذه المعارف السخرية القديمة كونها لا تتفق مع روح الدين الإسلامي الحنيف، مع تقاليده ومع نظام الدولة التي تجاهد من اجل استقرار الشريعة الإسلامية، والرغبة القوية في توثيق الروابط الأخوية بينها وبين العالم الإسلامي، امتداد طبيعي للحضارة العربية الإسلامية.

أولاً: التأثير في الملبس

لابد من كل ديانة اثر على حياة المجتمع الذي تظهر فيه وهذا لاثّر يشمل كافة نواحي الحياة وكل ما يتعلق بالإنسان ومنها الملبس، فمثلاً كانت سمة التعري سائدة بين الوثنيين في بلاد السودان قبل اسلامهم، كان للإسلام اثر كبير في تحول شكل الملابس بما ينسجم وتعاليمه التي اتبع في تغييرها التدرج مع المسلمين الجدد، فبعد العري الكامل للجسم في معظم اجزاء السودان¹، صار الفرد يستر عورته بأي شيء مع البدايات الاولى لوصول الاسلام المنطقة ومع انتشاره بشكل منظم بدا السكان بارتداء الملابس المصنوعة من الجلد، والتي كانوا يرتدونها على شكل مآزر في الشتاء²، وفي بلاد الحبشة والنوبة كانت ملابس السكان متشابهة³، وهي في اغلبها مصنوعة من الجلد الذي تكثر صناعته هناك، لدرجة ان الفائض عن الحاجة كان يصدر الى اليمن، وفي زغاوة لبس السكان الجلود المدبوغة.⁴

لقد حدث تحول اوسع في ملابس السكان بعد وصول اعداد من التجار والمهاجرين الى بلاد السودان، فتأثير السكان وفي اغلب المدن، اذ كان العامة من اهل سلى، وتكرور، يلبسون ملابس الصوف، وعلى رؤوسهم كرازي الصوف⁵ ويذكر البكري، ان هناك شجرة تحمل الصوف تزرع في الرمال طويلة الساق تسمى تورزى ولها ثمر كبير منتفخ داخله صوف ابيض يستخدم لصناعة الثياب⁶. ويبدو ان المقصود من كلام

¹ ابن الفقيه، أبو بكر أحمد بن إبراهيم، مختصر كتاب البلدان، (لیدن: 1302هـ)، ص 78.

² الوزان، المصدر السابق، ص 176.

³ العمري، أحمد بن يحيى بن فضل الله، مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، (الرباط: 1988)، ص 41-44.

⁴ القزويني، المصدر السابق، ص 57.

⁵ كرازي الصوف: ومفردها كرزية، وتكون مصنوعة من قماش صوفي غليظ تُشد حول الرأس، وكانت تُستعمل بكثرة في الأندلس والمغرب، إذ أن أصل الكلمة من لغة البربر. ينظر: دوزي، رينهارت، المعجم المفصل بأسماء الملابس عند العرب، (بغداد: 1971)، ص 307-308.

⁶ البكري، المصدر السابق، ص 179.

البكري هو القطن اذ يذكر في موضع آخر من كتابة وجود شجرة قطن في دور مدن السودان الغربي يصنعون منها الارز المسماة بالشيكات.

وكان اللثام منتشرًا في أكثر من مدينة ولاسيما بعد وصول المرابطين الى بلاد السودان، اذ يذكر ابن بطوطة، ان أكثر سكان مدينة تنبكتو هم من قبيلة مسوفة والذين من عاداتهم لبس اللثام¹، ولاسيما عند الرجال، اما النساء فكن كاشفات الوجه، اما في مدينة ولاته² فقد كان النساء والرجال يتلثمون ويغطون وجوههم، وثياب اهلها حسان مصرية، وكان اهل تادمكة يتلثمون كما يتلثم بربر الصحراء، كما تلثم سكان جني بلثام كبير مصنوع من القطن يغطون به حتى راسهم، وكان الائمة والفقهاء يتلثمون بلثام ابيض.³

واخذت القبائل السودانية من المسلمين طريقة لباسهم، فنرى الرداء الواسع والعمائم، الفاخرة التي تتعارض تماما مع عري غالبية السكان قبل اسلامهم، وكان للعلاقات بين مصر والسودان الغربي ولاسيما في عصر المماليك دور كبير في انتقال المنسوجات الجميلة الى متناول سكان دولة مالي ومن ثم السنغاي⁴، وقد وصف العمري ملابس سكان دولة مالي بقوله: (ولباسهم عمائم بحنك مثل العرب، وقماشهم بياض من ثياب قطن يزرع عندهم وينسج في نهاية الرفع واللفظ ويسمى الكميصا وزيهم شبيه بزي المغاربة، جباب ودراريع⁵، بلا فتحات. .). وقد اعتنى المسلمون في بلاد السودان

¹ ابن بطوطة، المصدر السابق، ص 269.

² مملكة صغيرة خاملة فيها ثلاثة قرى مسكونة وتبعد هذه القرى بنحو (300 ميل) جنوب نون وخمسائة ميل شمال تمبكت ومائة ميل من المحيط ينظر: الوزان، وصف أفريقيا: 161/2 .

³ الوزان، المصدر السابق، ص 163.

⁴ أمين محمد، علاقات دولتي مالي وسنغاي بمصر في عصر سلاطين المماليك، بحث منشور في مجلة الدراسات الأفريقية، ع 4، 1975، ص 293.

⁵ دراريع: مفردا دراعة وهي عبارة عن قميص يرتديه النساء والرجال . ينظر: ماجد، عبد المنعم، تاريخ الحضارة الإسلامية في العصور الوسطى، (القاهرة: 1978)، ص 116.

شانهم شأن البقية المسلمين بملابسهم خلال ذهابهم لاداء صلاة الجمعة، اذ كان اللباس يد ضربا من الاناقة التي تزيد صاحبها احتراماً في اعين الناس، وكان الوجهاء يحرصون على الظهور في لباس فضفاض، امام العامة.¹

وكان للعامل المادي دور كبير في التمييز بين ملابس السكان، اذ كأبناء الطبقات الفقيرة في بلاد السنغاي يرتدون في بعض الاحيان قمصان ممزقة، وفي الغالب كانوا يكتفون بلبس جبة واحدة وبرنس، وكان بعض اطفالهم الصغار يمشون عراة، اما الكبار وبفضل الاسلام فقد اجتازوا مرحلة العري، وبدأوا يرتدون الملابس كل حسب قدرته، وكان الاغنياء يلبسون اكثر من جلباب واحد ويتقنون في زركشها وغالبا ما تكون مصنوعة من اقمشة ناعمة جدا بيضاء او سوداء اللون، اما الفقراء فكانوا يلبسون ثيابا خشنة. وفي غانة كانت ملابس الاغنياء تختلف عن ملابس الطبقات الفقيرة، ففي حين كان الاغنياء يلبسون الملابس الحريرية والقطنية كان الفقراء يلبسون الملابس المصنوعة من الجلد والصوف.²

لقد التزمت المرأة بمسالة الاحتشام من خلال ارتداء الملابس الطويلة الواسعة الفضفاضة لتساعد على ستر الجسم وكانت المرأة في السودان الغربي ترتدي اغطية للرقة تعرف باسم (بايبوري) اثناء تأدية الصلاة وايام الاعياد الدينية.

اما فيما يتعلق بشعر المرأة فبعد ان كانت عادة حلق شعر الراس منتشرة بين النساء بسبب انتشار الامراض وعدم الاغتسال وقلة النظافة -جاء الاسلام ليعلمهن تنظيفه وتغطيته، اذ ان الاسلام يحرم على المرأة كشف راسها، واصبحت المرأة تضع عمامة كبيرة على راسها ليصبح ذلك امرا شائعا بين النساء المسلمات في بلاد السودان كما

¹ السعدي، المصدر السابق، ص33.

² البكري، المصدر السابق، ص175 .

قلدت المرأة غير المسلمة المرأة المسلمة في ذلك الامر، وكان الفرق الوحيد بينهما هو وضع الخمار على العمامة من قبل المرأة المسلمة.¹

ولاحظ المؤرخ المعاصر محمد الغربي، وجود ثلاثة أنواع من تصفيفات الشعر عند بداية الحكم المغربي للسودان الغربي، الأولى تكون بحلاقة ما فوق الأذنين مع وجود صغيرة واحدة مشدودة بخيط من وبر النخيل، والثانية حلاقة الشعر مع بقاء جزء منه في وسط الرأس على شكل كرات ثلاث، والثالثة على شكل خصلة ترتفع من على الرأس في الهواء مع خصلتين تتدليان على الخدين وثالثة على العنق، كما استعملت بعض أنواع الدهون لتصفيفه وعمدت بعض النسوة إلى وضع الأصباغ على وجوههن ولبس القلائد والأحجار الكريمة والزجاجية والأساور والأقراط التي كانت تتدلى من الأنوف أو من الشعور. وكن يستخدمن الأصباغ والحناء.²

وفيما يتعلق بلبس سكان بلاد السودان للحلي والمجوهرات، فقد كانت حليهم من النحاس والخرز والودع الذي كان يستخدم كعملة في دولة مالي أيضاً، وفي مملكة سنغاي كانت النسوة ولاسيما أيام الأعياد، يتزين بودع يلصقنه في رؤوسهن وصدورهن وبأقراط عريضة يضعنها في آذانهن وبخلاخل يضعنها في أرجلهن، كما كن يتحلين بقطع أخرى خفيفة مستديرة أو مربعة في صدورهن، وهي غالباً ما تكون مصنوعة من الزجاج أو النحاس وكانت عادة وضع حلقة في طرف أحد المنخرين شائعة بين الحرائر من النساء، وبمرور الزمن بدأ استخدام العطور الزيتية والعشبية التي كانوا يحرقون أنواعا منها كالعود والعنبر وقد قلدوا المغاربة في اتخاذ أواني البخور.³

¹ الألوري، آدم عبد الله، موجز تاريخ نيجيريا، منشورات دار مكتبة الحياة، (بيروت: 1965)، ص 111.

² بليغ، أحمد فؤاد، عبد الرحمن السعدي - عصره وكتابه - تاريخ السودان، بحث منشور في المجلة التاريخية المصرية، المجلد العشرين، 1973م، ص 94.

³ زبادية، المرجع السابق، ص 126.

ثانياً: التأثير في المأكل والمسكن:

لم يقتصر تأثير الإسلام على بلاد السودان على جانب معين، بل شمل جوانب عديدة، وكان لابد من تأثر المأكل والمشرب، فمن الطبيعي أن يجلب المسلمون القادمين إلى بلاد السودان كل ما يتعلق بحياتهم اليومية.

وكان الطعام الذي يتناوله السودان في أكثر مدنها يمتاز بالبساطة وسهولة التحضير وعدم الترفه والتفنن في المأكل، إلا أنهم في نفس الوقت كانوا يبذلون عناية كبيرة بما يأكلونه، كما كان للعامل المادي دور في تحديد نوع وكمية الطعام الذي تأكله تلك الأسر، ففي الريف كان شائعاً بين السكان الاعتماد على منتجات الماشية من الأغنام والماعز¹، أما المدن فقد تركز الطعام فيها على الذرة، والرز²، وطبخ العصيدة³، والكسكس⁴، الذي يُعد الأكلة الأولى في مدينة تمبكتو كما أن العامل المادي تحكم في نوعية الآنية التي يُقدم بها الطعام، فبينما كان البعض يضعون الطعام في الصحاف أو في أواني مصنوعة من قشور نبات القرع الكبيرة كان آخرون كبعث حكام السودان يستخدم أواني مصنوعة من الذهب.⁵

ومن الجدير بالذكر أن سكان مدينة تمبكتو اعتمدوا في شربهم على ما يسمى بالدقنو المتكون من ماء فيه جريش الذرة ومخلوط بالعسل أو اللبن، والذي كانوا يشربونه بدل

¹ ابن حوقل، المصدر السابق، ص 98.

² يطلق السودانيون اسم الدخن على الذرة. ينظر: ابن الفقيه، مختصر كتاب البلدان، ص 84.

³ يشير ابن بطوطة إلى أن العصيدة تُصنع من شيء يشبه القلقاس ويسمى القافي وهي مفضلة في بلاد السودان على سائر الأطعمة. ينظر: ابن بطوطة، المصدر السابق: 4/ص 249.

⁴ الكسكسو: وهو طعام غير معروف في المشرق، وأكله لم يكن شاملاً لجميع السكان بل يميل إلى الحد الأدنى من الرفاهية. ويُعد الكسكسو الصحن المفضل في كل بيت مغربي بما فيه من أنواع عشرة، ويتكون من سميذ القمح أو الشعير أو الذرة مع اللحم. ينظر: ابن بطوطة، المصدر السابق: 4/248.

⁵ الوزان، المصدر السابق، ص 177.

الماء¹ وتم إدخال شراب الزبيب إلى بلاد السودان ولاسيما أثناء حكم المغاربة للسنغاي، ومن جانب آخر تم إدخال العديد من التقاليد المتعلقة بالطعام والشراب إلى بلاد السودان وبالذات إلى السودان الغربي، ومن ضمنها عادة إيقاف الخدم وفي أيديهم أباريق الماء بعد انتهاء الولايم ويبدو أن تلك العادات كانت متبعة لدى الأغنياء. والذين توضع على موائدهم أنواع مختلفة من الحلويات كالجوزينقات والكنافات والقطائف والتي تشتهر بصناعتها بعض نساء مدينة أودغست فضلاً عن أنواع الطعام والشراب.²

وفيما يتعلق بالسكن فقد حدث تغيير كبير في البناء بعد وصول المسلمين إلى المنطقة فأصبحت بعد ذلك مبنية بالطين.³ كما أن ذلك التطور تفاوت بين الريف والمدينة، فالدور في الأرياف بسيطة دون أسوار وأغلبها مبني من الطين، كدور مدينة تمبكتو في بداية تأسيسها والتي كانت على شكل أكواخ مستديرة مبنية بأوتاد محاطة بالطين ومسقفة بالتبن ويوجد فناء أو زريبة أمام الدار لغرض إيواء الحيوانات فيها، ويبدو أن الحجارة أو اللبن أو الطين المحمص لم يكن بمتناول الجميع.

ومن الجدير بالذكر أن بعض المنازل الريفية وحتى وقت متأخر في بعض المناطق كبلاد الفور بسيطة البناء ومتكونة من قصب الدخن، وفيها أعمدة من الخشب توضع بشكل متقابل الواحدة أمام الأخرى، أما الجدران فكانت من الشوك، وغالباً ما كانت تلك الدور للفقراء وتختلف عن دور الأغنياء والمبنية بالطوب الأحمر على يد بنائين من مصر والمغرب.⁴

¹ ابن بطوطة، المصدر السابق، ص 271.

² البكري، المصدر السابق، ص 64.

³ المقرئزي، المصدر السابق، ص 6.

⁴ اللارواني، مخطوطة السعادة الأبدية، ورقة رقم (12). نقلاً عن الهادي المبروك، العلاقات، من موقع قبائل عرب أزواد؛ التونسي، تشحيد الأذهان، ص 195-199.

فضلاً عن ذلك فقد أسهم وصول العديد من الخبرات الهندسية والفنية القادمة إلى السودان الغربي في تطوير البناء وطرزه في المنطقة، لاسيما بعد وصول مهندس أندلسي الأصل يلقب بالطويجن¹ إلى دولة مالي الإسلامية قادماً مع السلطان موسى بن أبي بكر التكروري بعد عودته من أداء فريضة الحج سنة 724هـ/1323م والذي عمل على بناء العديد من القصور والمساجد لاسيما في مدينة تمبكتو.

ويلاحظ من خلال ما سبق مدى التواصل والتداخل بين العرب المسلمين في مصر والمغرب الإسلامي وبقية بلدان الإسلام من جهة وسكان بلاد السودان الكبرى ولاسيما الجزء الغربي منها والمسمى بالسودان الغربي من جهة ثانية.²

ثالثاً: التأثير في الأسرة:

بانتشار الإسلام في بلاد السودان أصبح كل فرد ذكر أو أنثى يعرف ما له وما عليه من حقوق وواجبات ليس تجاه أنفسهم فحسب، بل تجاه أبناء القبيلة والمجتمع عموماً، وأصبح العفاف والالتزام هما السائدان في المجتمع الإسلامي، فقد أكد الإسلام ضرورة عدم الاختلاط بين الرجل والمرأة الأجنبية، وحدد خطوطاً حمراء لا يمكن تجاوزها، كما حدد طبيعة العلاقة بين الرجل والمرأة في فترة خطوبتهما، فنظمت العلاقة بشكل واضح ودقيق وأصبح للمرأة العديد من الامتيازات والحقوق، وكان عليها أن تحافظ على شرفها وعفافها، من خلال عدم التبرج والحذر من الزنا، لأن مصير الزاني والزانية النار، وتكونت لدى السكان فكرة واضحة حول كيفية اجتناب المعاصي، إذ

¹ ويُعرف بطويجن وهو مهندس معماري وأديب من بلاد غرناطة خرج من أرضه في القرن الثامن الهجري/الرابع عشر الميلادي ليجول في المشرق وهو في طريقه إلى الأراضي المقدسة لتأدية فريضة الحج، وقد التقى خلالها بالسلطان منسا موسى سلطان دولة مالي والذي دعاه إلى بلاده فقبل دعوته ليشارك في النهضة العمرانية هناك وذاع صيته في السودان الغربي لما أدخله من إبداعات معمارية، وبقي هناك إلى أن توفي بمدينة تمبكتو ودُفن فيها . أنظر: السلاوي، أبو العباس أحمد بن خالد، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، (الدار البيضاء: 1997): 152/3 .

² ابن خلدون، المصدر السابق ج7، ص 416.

عمل سكان مدينة جني، مثلاً على محاربة الزنا واعتقدوا أن ما حل بهم على يد سن علي، كان نتيجة اغتصاب إحدى النساء، بعد أخذها من زوجها عنوة سنة 737هـ/1336م¹

كما أتبعوا بحكم بساطتهم أساليب مختلفة لمعالجة مثل هذه الحالة، تتفق في جوهرها وتعاليم الإسلام، إلا أن بعضها يشذ عن القاعدة، فكان العُرف في بلاد السودان - حالهم حال الكثير من المجتمعات القبلية - يحكم على المرأة الزانية بالقتل، ويقوم بتنفيذ القتل أخاها وليس زوجها إذا كانت متزوجة، لأن أخاها هو المسؤول عن أخذ الثأر في مثل هذه الحالة.² ومن المؤكد أن تلك الحالة اختفت تدريجياً بانتشار الإسلام في المنطقة، إذ تم تطبيق حكم الشريعة الإسلامية على الزاني. وكانت الإجراءات الوقائية للإسلام تمنع حدوث الزنا، فقد أكد القرآن الكريم على أن يحصن الرجل والفتاة نفسيهما.³

لقد طبقت عقوبة الرجم على الزاني المحصن في أجزاء من بلاد السودان، إذ تم رجم الزاني حتى الموت، إلا أن الجلد العلني كان أكثر شيوعاً، وبدأ الناس يحاربون الزنا ويمقتونه ويربطون بينه وبين ما يصيبهم من أخطار، لأن الزنا من الكبائر فهو بالتالي يغضب الله تعالى، ولهذا عزا الفقهاء دخول المغاربة إلى الصنغاي بسبب ارتكاب المعاصي.⁴

وحيثما أقر الإسلام ضرورة عدم الاختلاط بين الجنسين، حدد كذلك من يحل أو يحرم الزواج بهن، فبعد أن كانت التقاليد الوثنية توسع من دائرة الأشخاص الذين يحرم

¹ عبد الرحمن السعدي، المصدر السابق، ص15.

² بولم، دنيس، الحضارات الأفريقية، ترجمة: علي شاهين، (بيروت: 1974)، ص132.

³ البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري، تحقيق، مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير، ط3، (بيروت: 1987): 2. 673 .

⁴ كعت، محمود بن الحاج المتوكل، التاريخ الفتاش في أخبار البلدان والجيوش وأكابر الناس وذكر وقائع التكرور وعظائم الأمور، تحقيق: هوداس، مطبعة بردين، (انج: 1913)، ص152.

الزواج منهن، إذ لا تكتفي تلك التقاليد بتحريم الزواج بين الأصول والفروع الذين هم على درجة قرابة قريبة بل يمتد التحريم حتى يشمل العشيرة التي تنتمي إليها الأم، وفي هذه الحالة لا يجوز للرجل أن يتزوج من امرأة تنتمي إلى عشيرة أمه.¹

وبعد كل هذه المبالغة في التحريم غير المشروع، جاء الإسلام ليحدد الأمر، فالمحرمات في الإسلام بسبب قرابة النسب جاءت في سياق الآية الكريمة، بسم الله الرحمن الرحيم ((حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ وَعَمَّاتُكُمْ وَخَالَاتُكُمْ وَبَنَاتُ الْأَخِ وَبَنَاتُ الْأَخْتِ وَأُمَّهَاتُ الْمَلَأِي أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ مِنَ الرِّضَاعَةِ وَأُمَّهَاتُ نِسَائِكُمْ وَرَبَائِبُكُمُ الْمَلَأِي فِي حُجُورِكُمْ مِنْ نِسَائِكُمُ الْمَلَأِي دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَإِنْ لَمْ تَكُونُوا دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ وَحَلَائِلُ أَبْنَائِكُمُ الَّذِينَ مِنْ أَصْلَابِكُمْ وَأَنْ تَجْمَعُوا بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ))² صدق الله العظيم. لذا فقد اختفت عادة الجمع بين الأختين، إذ لا يمكن عقد قرآن بين رجل وأخت زوجته، ما لم تكن زوجته قد توفيت أو طُلقَت.

ومهما يكن التزام المجتمع بتعاليم الإسلام فأن هناك بعض الأعراف الاجتماعية التي سار عليها الناس في أمور الزواج ففي السنغاي كان والد الفتاة مجبراً على تقديم تجهيزات واحتياجات بناته، فقد طلب (الفع كعت)³ من أسكيا داوود⁴ (956-990هـ / 1549-1582م) عندما أراد تزويج بناته الأربع أربع زراي وأربع إماء وأربع كلات

¹ زناتي محمد السلام، المرجع السابق، ص36.

² سورة النساء / آية 23 .

³ الفع كعت: كلمة الفع تطلق على العلماء تبجيلاً وتعظيماً لهم وهي اختصار أو مشتقة من كلمة الفاهم العربية . ينظر: نوري، دريد عبد القادر، تاريخ الإسلام في أفريقيا جنوب الصحراء من القرن 4-10هـ/10-16م، (الموصل: 1985)، ص279 .

⁴ أسكيا داوود: وتعني أسكيا السلطان، وهو سلطان دولة السنغاي في السودان الغربي حكم البلاد للفترة من (956هـ/1549م) وحتى (990هـ/1582م) ازدهرت خلالها بلاده بما أنجزه من مشاريع في مجال العمران وتشجيع الثقافة وجلب العلماء من البلاد الإسلامية الأخرى، فضلاً عن التطور الزراعي الذي حصل في حكمه . ينظر: كعت، التاريخ الفتاش، ص94-95 .

وبقية جهازهن، وهذا الأمر نلاحظه في الوقت الحاضر إذ أن الفتاة لا تخرج من بيت أهلها إلا ومعها من الحاجيات والهدايا على خلاف مجتمعات أخرى يقع فيها على عاتق الرجل كل ذلك.¹

ويسعى الأفريقي إلى تقوية علاقته بأقارب زوجته، إذ تنطوي تلك العلاقة على حقوق والتزامات متبادلة، وكلما زاد الرجل من عدد زوجاته اتسعت شبكة العلاقات، والتي ستؤدي بالتالي إلى تقوية مركزه الاجتماعي، وصيانة حياته أمام أي اعتداء خارجي، إذ يستطيع طلب المساعدة من أولئك الأقارب متى شاء.² ومن الطبيعي أن يكون عدد الزوجات هذا بمجيء الإسلام منطبقاً وتعاليمه فلا يتجاوز الأربع، فالإسلام حتم على الرجل المسلم مهمة تقدير الموقف من كونه قادراً على الإنفاق على أكثر من واحدة أم لا ومن قدرته على الإقسط والعدل وعدم الميل الشديد في النفقة وغيرها فهو آثم عند الله تعالى.³

وكان للمرأة في بعض المجتمعات السودانية الحق في طلب الطلاق إذا شعرت أنها لا تتساوى مع بقية الزوجات في المحابة فقط، وهذا الحق يجعل من الرجل مراعيًا لحقوق زوجاته دائماً، وأبقت بعض القبائل السودانية في بلاد التكرور بعض عاداتها القديمة، فللمرأة فيها حق مساوي للرجل في إنهاء الزواج، وللمرأة لدى الكانوري الحق في إنهاء الزواج دون الرجوع إلى أحد. ومن الطبيعي أن تكون تلك العادة في الطلاق مخالفة

¹ كعت، المصدر نفسه، ص108.

² زناتي، محمود سلام، تعدد الزوجات لدى الشعوب السودانية، دار المعارف بمصر، (القاهرة: 1963)، ص13.

³ وقد جاءت تأكيدات القرآن الكريم بقوله تعالى: (فَانْكُحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَتَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً). ينظر: سورة النساء، الآية (3). كما روي عن الرسول الكريم e أنه قال لغيلان الثقفي لما أسلم وتحتة عشرة نسوة (أمسك أربعاً وفارق سائرهن). د/ت: 2313/4. وينظر: دروزة، محمد عزة، المرأة في القرآن والسنة - مركزها في الدولة والمجتمع وحياتها الزوجية المتنوعة وواجباتها وحقوقها وأدبها - (بيروت: 1967)، ص121.

للشرع¹، إلا أن حداثة إسلام أهالي المنطقة وعدم تعمق تعاليمه فيهم وارتباطهم بالتقاليد الوثنية القديمة جعلهم يلجئون إلى هذا النوع من الطلاق الذي لم يكن للرجل فيه حق طلب زوجته للطاعة، كما في بقية دول الإسلام.²

كما ألغى الإسلام نظام الزوجة الرئيسية الذي كان متبعاً قبله، إلا أن بعض الشعوب السودانية المسلمة ظلت محتفظة به، ولكن بشكل مخفف إذ ما زالت التقاليد تختص إحدى الزوجات بمركز خاص وهي عادة ما تكون الزوجة الأولى، إلا أن ذلك المركز لا يخولها التحكم بالزوجات الأخريات.

ويشير المؤرخ ترمكهام إلى أن المرأة المسلمة في بلاد السودان لا تُصلي أبداً لأنها تحيض كبقية النساء. ويبدو أن هذا الرجل قد نسي أن عدم الصلاة أثناء الحيض هو من ضمن تعاليم الدين الإسلامي، وأنها تُحاسب إذا ما صلت لأن شرط الطهارة غير موجود خلال فترة الحيض.³ ومثلما دعا الإسلام المرأة للعفة، أكد كذلك على النظافة، فأصبحت المرأة مساوية للرجل تتأنق في ملابسها بعد تنظيفها جيداً، وبدأت تغتسل بشكل مستمر لأن الشريعة الإسلامية تؤكد على الطهارة التي تعد أساس مهم من أسس الدين.⁴

أما في مجال عمل المرأة فقد أصبحت تساهم مع زوجها أو أخيها في العمل بكافة مجالاته، ولكن بطريقة تختلف عما كانت عليه في الوثنية، إذ أصبح العمل يتناسب مع أنوثتها ومع طاقتها كامرأة، وأختلف ذلك العمل بحسب طبيعة المنطقة، فنساء أودغست اشتهرن بأنهن طباحات ماهرات يحسن عمل الحلويات المختلفة⁵، كما عملت النسوة في

¹ البخاري، صحيح البخاري: 2011/5 ؛ ابن حبان، صحيح ابن حبان: 77/10 .

² زناتي الإسلام ؛ دروزة، المرأة في القرآن، ص72.

³ أبْن رَشْد القُرْطُبِي، محمد بن أحمد بن محمد، بداية المجتهد (بيروت: د/ت): 229/1.

⁴ ارنولد، توماس، الدعوة إلى الإسلام، ترجمة: حسن إبراهيم حسن وآخرون، مكتبة النهضة المصرية ط3، (القاهرة: 1970)، ص397.

⁵ البكري، المصدر السابق، ص64.

طهي الطعام وطحن الدقيق، والقيام بحياكة القطن أو الصوف، واستخراج الماء من البئر أو جلبه من النبع، كما وقع على عاتقها مسؤولية تهيئة الوقود.

كما كان لها دور هام في مشاركة الرجل بالزراعة، إذ عملت في الزراعة مستخدمة المجرفة في عملها، ففي كل صباح تنطلق النساء إلى الغابة ومعهن أولادهن، ويحملن بأيديهن أوتاد طويلة تستخدم في قلع أدران النباتات، كما يستخدم السكاكين لقطع سيقان النباتات وتقشيرها، ومن ثم جمع عسل النحل بمساعدة الرجال.

ووقع على عاتق المرأة السودانية أيضاً تربية الماشية وحلبها، كما شاركن في بناء الزرائب لها، وبناء الأكواخ لعائلتهن، إذ وقع عليهن تغطية سقوفها بنوع من الحصر المجدولة . وأسهمت المرأة السودانية في صناعة الأدوات المنزلية التي كانت في بدايتها من الحجارة، وصنعت الرحي لطحن الذرة ولم يقتصر الأمر على ذلك، فقد عملت بعض النسوة بالتجارة، وكن يتاجرن في سوق بالسنگاي، ويبيعن الأغذية والألبسة والمجوهرات¹.

وكان عمل المرأة يبدأ عند بلوغها، إذ تبدأ أعمالها اليومية تحت إشراف امرأة متقدمة في السن، فتدربها على جمع الأخشاب وقطف الحبوب، كما تمسك بذراعها طيلة مدة حلب الماشية.

أما الأطفال فقد أصبح لهم بعد ظهور الإسلام مكانة كبيرة في الأسرة، فقد أهتم بهم ودعا إلى رعايتهم من قبل الوالدين رعاية جيدة، وأستخدم القرآن الكريم أسلوب متدرج في القضاء على العادات الجاهلية في التعامل مع الأطفال، إذ استنكر القرآن الكريم قتل الأولاد وعدّه عملاً منكراً، ودعا المسلمين إلى اجتنابه.

¹ زبادية، المرجع السابق، ص 126-127.

وبدأت مرحلة الترحيب بحلول الطفل الجديد على العائلة والاعتناء بالأم الحامل، وقد فرضت المجتمعات السودانية على المرأة الحامل العناية بنفسها، ورعايتها لضمان سلامتها وسلامة جنينها، وكانت عملية الولادة تتم على أيدي النساء الكبيرات السن، في حين يقمن الأخريات بقراءة آيات من القرآن الكريم والدعاء لها بالتيسير، وبعد الوضع بسلام يتم التضحية بشاة أو بما يتيسر لدى العائلة لوجه الله تعالى ابتهاجاً بسلامة الأم والوليد.¹

لقد عالج الإسلام كل المعوقات التي تصادف الطفل حتى يكبر، ومنها مسألة الحضانة في حالة الانفصال بين الرجل والمرأة، إذ جعل الشرع الإسلامي حق الأم في حضانة أولادها مقدم على حق الأب، وحسب المذهب المالكي السائد في بلاد السودان فإن للأم الحق في حضانة أولادها حتى احتلام الذكر ونكاح الأنثى والدخول بها، بشرط أن لا تتزوج الأم وإلا انتقلت الحضانة إلى غيرها من ذوي الرحم (الجدة والخالة)، وفي حالة عدم وجود أحد منهن يؤول هذا الحق إلى القريبات من جهة الأب (الأخوات والعمات) وفيما يخص النفقات على الأولاد، فإن الشريعة الإسلامية ألزمت الأب بهذا الأمر.

كما عالج الإسلام مسألة نسب الأولاد ورفع من مكانة المرأة السودانية وعمل على تحويل الانتساب من الأم إلى الأب وفي هذا التحويل تكريم لها من خلال أن الانتساب إلى الأب يجعله يحمل المسؤولية في تربية الأطفال وإعالتهم فبعد أن كان الطفل يحمل اسمه ثم أسم عائلة أمه أو قبيلتها، أصبح الاسم الإسلامي للطفل مقروناً باسم أبيه.²

¹ الادريسي، أبو عبد الله محمد بن أدريس، صفة المغرب وأرض السودان ومصر والأندلس، (مأخوذة من كتاب نزهة المشتاق في اختراق الأفاق) مطبعة بريل، (لیدن: 1968)، ص 13 .

² فتاح، فوزية بونس، التأثيرات الحضارية العربية الإسلامية على السودان الغربي، أطروحة دكتوراه غير منشورة، (جامعة الموصل: 1994)، ص 211.

ومن العادات الاجتماعية لدى السودان أنه إذا ما رزق الأب بطفلين أو أكثر دفعة واحدة، فعلى أقربائه وأصدقائه مساعدته بشكل لا يجرح شعوره من خلال تقديم المساعدات على شكل هدايا. وفي ذلك دلالة على التكافل الاجتماعي الذي أمر به الله تعالى وأكدته السيرة النبوية الشريفة. كما أعتقد أهل السودان بأن على الرجل عدم ذبح أو إيذاء أي حيوان طيلة فترة حمل زوجته.¹

وكان للتعليم الديني دور في تثقيف الأطفال وتنبيههم إلى أمور دينهم التي يأتي في مقدمتها قراءة وحفظ القرآن الكريم، والتي وصلت لدرجة وضع القيود في أرجل الأطفال حتى يكملوا الحفظ، وقد أشار ابن بطوطة إلى ذلك الأمر خلال زيارته لمنزل قاضي دولة مالي الإسلامية ورأى أولاده مقيدون فسأله عن السبب فأجاب تشجيعاً لهم لكي يكملوا حفظ القرآن الكريم.²

وكان للكُتاب دور فاعل في عملية التثقيف بين الأطفال، إذ يدخل الطفل الكُتاب في سن الخامسة على الأغلب ويقضي فيه مرحلة من الدراسة والتعلم تؤهله للانتقال إلى المراحل الدراسية الأخرى، وكان الشيوخ في الكُتاب يقضون أغلب أوقاتهم في تعليم الطلبة، وتحفيظهم القرآن الكريم وتعليمهم السنة النبوية ونقل تعاليم الإسلام. كما تم لهذا الغرض بناء مكان مقابل المسجد يخصص لتدريس الأطفال.³ ولم يحول التعلم بين الأطفال وعملهم، فكان الصبي منهم يسرح بماشيته في النهار، وبعد رجوعه في المساء

¹ قداح، نعيم، أفريقيا الغربية في ظل الإسلام، مراجعة: عمر الحكيم، (دمشق: 1960)، ص 95.

² ابن بطوطة، المصدر السابق، ص 265.

³ السعدي المصدر نفسه، ص 58.

يأخذ لوحه ويذهب ليتعلم، وعلى كل صبي أن يأتي بالحطب يومياً ليوقدوا النار، ويستضيئون بضوئها للدرس.¹

كما تعلم أولئك الأطفال من الكتاب تعاليم الإسلام كطاعة الوالدين وعدم عصيانهم، لأن عدم طاعتهم تُعد من الكبائر التي يعاقب الله تعالى عليها، ويشير المؤرخ السوداني محمود كعت، إلى طاعة أولاد الاسكيا داؤود لوالدهم حينما استشارهم حول عتق عبيده السبعة والعشرين الذين حصل عليهم، فردوا على أبيهم قائلين: ((أطال الله عمرك إن شئت فاتركهم أجمعين لله، ولا لك ولد يبطل أفعالك، ولا من يهتك حرمتك حاشى وكلا، بل نحمد الله بك ونشكره بك ونشكره أن الولد يطيل بنيان والده ويشيد أركان جدران بيته)). وفي هذا دليل واضح على مدى التزام الأولاد بتعاليم الإسلام، ومدى تلقيهم لتعاليمه.²

رابعاً - التأثير في الختان

يعطي أهلي السودان الغربي أهمية كبيرة لمثل هذه المناسبات الاجتماعية، سيما إن هذه القبائل والجماعات عرف عنها ميلها الغريزي الى الفرح والبهجة، يذكر الوزان ان تنبكت فطروا على المرح. .. كما أنهم تميزوا بالعزف على آلات الطرب والرقص³. لذلك وجدوا ضالتهم في التعبير عن ذلك من خلال الحفلات التي يقيمونها في اعراسهم او عند قدوم مولود جديد، وعند ختانه.

ويختلف الاحتفال بالمولود من منطقة الى اخرى، حسب عادات وتقاليده كل جماعه، ففي بعض مناطق السودان الغربي عندما يأتي المولود فإن والده يطرحانه ارضاً في

¹ التونسي، محمد بن عمر، تشحيز الأذهان بسيرة بلاد العرب والسودان، حققه وكتب حواشيه: خليل محمود عساكر ومصطفى محمد مسعد، الدار المصرية للتأليف والترجمة والنشر، (القاهرة: 1965)، ص 280.

² محمد كعت، المصدر السابق، ص 105.

³ حسن الوزان، المصدر السابق، ص 167.

بيت مظلم بدون غسله ويمكث ليلة تامه الى الغد، واذا ولد لهما مولودان في آن واحد فالذي يبتدأ به الغسل يعتبر الاكبر، وهذا ما حدث لعلی كلن وسلمان نار، سلطان جاو قبل ان يضمناها موسى لأملاكه ضمن مالي فكان على الاكبر عن سلمان نار.

وقبل اوان الولادة، تستعد الام لاستقبال مولودها، بصنع فرش جديد للمولود من صوف الاغنام، وعندما يحين موعد الولادة تقبله قابله وتغسله بالماء الدافئ، وتلفه بقطعه قماش صوفيه بيضاء، وتعصب رأسه بقماش من الصوف، ثم تعصبه بعصابة صوفيه اخرى، وتسقيه اربع ملاعق من زيت الزيتون المخلوط بالماء فتكون أول ما يدخل جوف المولود الجديد.

وتجتمع نساء الحي والأقارب عند أم المولود مرددين الأغاني ولأهازيج التي تخص المناسبة، تعبيراً عن الفرحة محملين بالهدايا متمثلة في الأقمشة والنقود، ويقوم والد المولود بذبح شاه وإقامة وليمة يدعو لها الأحاب والأقارب وحفظة كتاب الله.¹

واحتفال بالمولود يقدم له والده وأصحابه بعضاً من الذهب الذي يصبح ملكه عندما يبلغ سن الرشد، يذكر محمود كعت إن ليله ميلاد القاضي محمد، ما أصبح في ليلة ولادته إلا وألف متقال ذهباً بات في ملكه من ضيافة الرجال الذين فرحوا بولادته لأنه أول مولود ذكر لأبي البركات الفقيه محمود أقيت.² أما تسمية المولود ففي الغالب يسميه كبير العائلة، وعاده يشق اسمه من أسماء رجال العائلة المتوفين، وفي ليلة الأربعين تحتفل الأسرة مره أخرى بالمولود، وتُخضب كفه بالحناء وان كانت أنثى تخضب يديها ورجليها. ولدرء العين والحسد والشياطين تعلق في رقبة الطفل و صدره قلادة تحتوي على خمسة أحجبة موضوعه داخل جلد لونه احمر من الفيلاي، ومنهم من يزين تلك

¹ الهادي الدالي، المرجع السابق، ص63.

² محمود كعت، المصدر السابق، ص34.

القلادة بترصيعها بالودع وقرن غزال صغير وقطعه من الخشب على هيئة سمكة، أو يد فيها خمسة أصابع تعرف بالخميس هاو تحتوي مسحوقا من الكمون، وأنواعها من التوابل.¹

وهذا التقليد هو نفسه التقليد السائد في المجتمعات العربية، فمن حيث تسمية المولود كان ولا زال سائدا ظاهرة تولي كبار السن تسمية المولود ولا سيما في المجتمعات الريفية، وهو نوع من التقدير لكبار السن باعتبارهم منبع الحكمة في العائلة.

إما اتخاذ القلادة والأحجية ولخميسه وقرن الغزال، والسمكة الودع وتعليقها للمولود، فهو تقليد ساد في المجتمعات العربية خصوصاً البدوية منها، بهدف دار الحسد والعين الشريرة وإبعاد شرور الشياطين. وقد انتقل هذا التقليد في شكله الإسلامي إلى مجتمعات الأفريقية حيث إن مثل هذا التقليد سائد هو الآخر في المجتمعات ذات المعتقدات التقليدية المحلية الأفريقية ألا أنه يختلف في محتواه، إذا أنهم يعلقون التمام والودع ولأحجية التي تحتوي على بعض التعاويذ لدرء الحسد والعين الشريرة، والتي يطلبونها من كجور الحسد، لكن الأحجية العربية تحتوي على بعض الآيات القرآنية التي يتحصلون عليها من الفقيه المسلم. وقد تقبل الأفارقة هذا التقليد كونه لا يختلف كثيرا عن تقاليدهم إلا في بعض التفاصيل البسيطة، لكن الهدف منها واحد. أما هذه المؤثرات وصلت مع المهاجرين والرعاة الأمازيغ والتجار والفقهاء الذين استقر بعضهم في هذه المناطق بين ظهراني سكانها، فحدث الاحتكاك بين العرب المسلمين وبين أهالي المنطقة، فحدث التأثير والتأثر بين هذه الجماعات.

كما يحتفل أهالي السودان الغربي أيضا بمناسبة ختان أبنائهم ففي بعض القبائل يختن الأولاد بعد نهاية الأسبوع الأول بعد نهاية الأسبوع الأول ومنهم من يختن طفله في

¹ الهادي الدالي، المرجع السابق، ص 64، 65.

الأربعين ومنهم من يصل عمر ابنه إلى الخامس أو السادس وفي هذه المناسبة يرتدي الطفل أثواب بيضاء مزركشة ويُعلم الأقارب والجيران قبل ذلك، وفي اليوم المحدد للختان تقدم وليمة للمدعوين والضيوف ويكون موعد الختان عند الضحى وبعد ما يختن الطفل يوضع العضو الذكري للطفل في صغار البيض لكي يلتئم الجرح في وقت أسرع، بعد ذلك تنطلق الزغاريد إيدانا بالفرحة والابتهاج يأتي بعدها النسوة لتهنئة الأم ومعهن بعض الهدايا يرددن عبارة (إنشاء الله بزواجه وطول أيامه)، ويقوم بعملية الختان الحداد أو القصاص، بينما تفرح طبول التام تام، وتدوي أصوات الفرحة بين المدعوين، ويعتبر الختان دلالة على بدأ مرحلة الشباب وتعتبر كلمة غير مختون شتيمة تعرض صاحبها للاستهزاء.¹

وبعد قدوم المراكشين إلى منطقته السودان الغربي عندما امتد سلطانهم إلى مملكة السنغاي انتهجوا النهج الذي كان أحمد المنصور الذهبي يفعله في مراكش عند ختان الأطفال فقد جرت العادة أنهم يجتمعون أطفال الفقراء ويقيمون لهم حفلا عموميا وبعد الاحتفال يختنهم ويوزعون على كل واحد منهم ثوبا وحصاة من اللحم.²

من خلال هذه الظاهرة المتبعة في الختان يظهر أثر التغيير على الكثير من عاداتهم التي بدأت تتأثر وبشكل كبير بالمؤثرات العربية الإسلامية.

خامساً: التأثير في المناسبات الدينية

أما الاحتفال بالمناسبات والأعياد الإسلامية في بلاد السودان الغربي، فإنها لا تختلف كثيراً عن الشمال الأفريقي والمشرق الإسلامي، وذلك نتيجة المؤثرات العربية الإسلامية، يورد عبدالرحمان السعدي الكيفية التي يستقبل بها أهالي السودان الغربي

¹نعيم قدام، المرجع السابق، ص114.

²الهادي الدالي، المرجع السابق، ص66.

المناسبات الدينية بقوله: "وفي ليالي الاعياد يكون الناس على قسمين. . فالذين لهم اعمال رتيبة سهله مثل كبار الملاك وبعض التجار والعلماء فانهم يسهرون حتى وقت متأخر من الليل، وكثير ما يجد المار في الطرقات اناسا يتسامرون وقد اخذوا امكنة جلوسهم على ارصفة الطرقات، اما الذين يقومون بأعمال مجهدة خلال النهار مثل اصناف العاملين في الحقول والاسواق والرعاة، وهم ينمون مبكرين في العادة. . وتشبه ايام الاعياد الدينية عندهم، يوم التتويج وجلوس الملك على العرش، اذ يبيت الناس بحاضرة الدولة، فيما يشبه العيد، ويسمع الصخب والغناء والرقص على دقات الطبول، في مختلف انحاء المدينة.¹

ومن المناسبات الدينية التي حرص مسلمو السودان الغربي ان يحتفلوا بها ويحيطوها بقدر كبير من الاجلال والتبجيل عيد الفطر والاضحى، وشهر رمضان والمولد النبوي الشريف.

1- الاحتفال بقدم شهر رمضان المبارك:

عندما يحل شهر رمضان المبارك ويثبت بالرؤية، يستقبله الاهالي بفرح وسرور، بعد ان استعدوا له بصنوف الاطعمة والمشروبات، وفيه يكثر من العبادة، وفعل الخير، والتردد على المساجد، لاداء الصلاة في اوقاتها، وصلاة القيام، وصلاة الفجر، ويزور بعضهم البعض في ليااليه، ويكثر من تلاوة القران الكريم وقراءة الشفاء للقاضي عياض، وخاصة في مدينة تنبكت وجني وجاو واقدز، وفي كنجور فان اهالي البلدة يحتفلون بشهر رمضان وليلة القدر بتلاوة القران الكريم وكثرة الدعاء، وكان حاكم البلدة يشرف بنفسه على هذه المراسم.

¹ السعدي، المصدر السابق، 122، 123.

يقول محمود كعت: "...وكنجور¹.. بلد بارض كيال بلد قاضي تلك الاقليم وعلمائها لا يدخلها جندي ولايسكنها احد من الظلمة السلطان كيال يزور علمائها وقاضيه في شهر رمضان من كل عام على عادتهم القديمة بصدقاته وهداياته (هداياه) ويفرقها عليهم واذا كانت ليلة القدر يأمر بطبخ الطعام ثم يجعل المطبوخ في المائدة اي القدر الكبير ويحملها فوق راسه وينادي قراء القران وصبيان المكتب ويأكلونها تعظيما لهم.²

كما تعود الاهالي ان يأتوا الى ابواب المساجد قبل الغروب بحبوب التمر والخبز والحساء ليوزعوه على المحتاجين من الفقراء كما جرت العادة انهم كانوا في العشرة الايام الاواخر يعتكفون في المساجد للعبادة وقراءة القران³، وفي حقيقة الامر فان الصوم يعتبر من اعظم الشعائر لدى اهالي السودان الغربي بما يتميز به من حركية ونشاط طوال هذا الشهر المبارك والأفارقة مثلهم مثل غيرهم من المسلمين العرب، قد يتسامحون في ترك الصلاة، اما الصوم فلامجال للتسامح فيه ومن لا يصوم لا يستطيع اظهار افطاره امام العامة، لأنه سيتعرض الى مضايقات اجتماعية شديدة الوطأة عليه، لذلك عندما يهل شهر رمضان يصوم الناس جميعا وحتى صغار السن تجدهم يتبارون في صيامه تحت تشجيع الكبار. والنشاط في لياليه يختلف من منطقة لأخرى ومن جماعة الى اخرى، فلدى الفولانيين والولوف يمنع منعاً باتاً استعمال (التام تام) اي الطبول وغيرها من الآلات الموسيقية لاعتقادهم انها من ادوات الشيطان والشيطان في هذا الشهر المبارك مكبل بالأصفاد.⁴

¹ كنجور بلد لأرض كيال في مالي .

² السعدي، المصدر السابق، ص180.

³ الهادي مبروك الدالي، المرجع السابق، 83.

⁴ جالو، حسن سعيد تأثيرات الديانات الافريقية في مسلمي بلاد السودان، جامعه الزيتونة، تونس، 1996، اطروحة لنيل شهادة الدراسات المعمقة، ص109.

اما عند قبائل الماندنغو فان شهر رمضان المبارك يحفل بسهرات الرقص والغناء، ففي شهر رمضان من كل عام يحتفلون بعيد الماء (جيسو)، حيث يخرج الناس رجالا ونساء صغارا وكبارا الى اقرب الانهار ليلا فيخلعوا ملابسهم ويتطهروا ثم يعودوا الى قراهم في يد كل واحد منهم اناء فيه ماء، وعندما يلتقي باي كان في القرية يغمس اصابعه في الماء تطهرا ثم تبدأ حفلة الرقص والغناء الى الصباح حيث يتم اختيار اجمل فتاة وتنتهي الحفلة.

مما سبق يتضح بما لا يدع مجالا للشك ان اهالي السودان الغربي يعظمون هذه المناسبة المباركة، ولكن مع ذلك لا زالوا يحافظون على بقايا ممارسات من السلوك الافريقي القديم، التي ظلت تعكر صفو مثل هذه المناسبات الدينية، لكنها ما تلبث ان تتلاشى بفعل قوة التأثير الاسلامي في المنطقة، لان الناس يمارسون مثل هذه الطقوس الغربية، فقط بسبب عدم تعمقهم في اصول العقيدة الاسلامية.

اما ليلة القدر، فكان لها طابعها الافريقي الخاص، والأفارقة في ذلك مثل المغاربة واكثر اهل السنة، يعتقدون في كون هذه الليلة ليلة السبع والعشرين من رمضان من الليالي الحبية لأنها خير من الف شهر. لذلك يشرعون في الاستعداد لها من بداية الشهر، حيث تقوم النساء بصنع خبز بدون خميرة وحلى بالعسل او السكر في بعض الاحيان. ويذهب الشيوخ والكهول الى المساجد للصلاة، ويخرج الشباب في جماعات بحثا عن الخبز المبارك الذي يسمونه شوبال، يصنع خصيصا لهذه الليلة. ويطرق الشباب ابواب الديار وهم يرددون: "ياالله يرحمان صلى على محمدنا، ياجولوبي ياهوروبي صلى على محمدنا، سكوتوبي مدروتوبي صلى على محمدنا الخ..." ومعنى ذلك في الفلانية هو: يامن يصومون ويصلون، صلوا على محمدنا، ويامن يزكون بنوعيتها، زكاة الفطر

وزكاة المال صلوا على محمدنا، فتخرج النساء من منازلهن ليتصدقن بالخبز الذي صنعنه ويقدمنه للشباب.¹

2 - الاحتفال بعيد الفطر والاضحى:

تبدأ الاحتفالات بعيد الفطر المبارك بمجرد رؤية الاهالي الهلال، فيقصد العدول من الرجال الى المشور² للأداء بشهاداتهم ويتم الاعلان عن رؤية هلال العيد بإطلاق طلقات مدافع وضعت في تنبكت خصيصا لهذا الغرض، وقد نقلت هذه العادة من الشمال الافريقي فتهتز المدن خاصه مدينه تنبكت بالتهليل والتكبير وتعلو زغاريد النساء تعبيراً عن فرحتهم بقدوم العيد، ويخرج السلطان لصلاة العيد في هيئة رسمية، ويحضر نفسه الحفلات التي تستمر سبعة ايام³، وبعد انتهاء من صلاة العيد يتصافح المصلون، ويتزاورون ويتصدقون على الفقراء ابتهاجا بهذا العيد.⁴

اما في عيد الاضحى فكانت المدافع تطلق من ابراج قصبة تنبكت كما كان يحدث في جميع مدن المغرب، ويخرج الباشا الى المصلى في موكبه الرسمي ممتطيا جواده الاشهب وحوله رجال الدولة وقاده الجند وحملة الاعلام واصحاب الموسيقى، وتتحرك ضحيتا العيد والخصتان بالباشا والقاضي وتحملان الى المدينة على ظهور الجياد السريعة، وتقام العاب الفروسية، وتصدح الموسيقى في الطرقات ويخرج الناس لمشاهدة تلك الالعاب بملابسهم الجديدة.⁵

¹ جالو حسن سعيد، المرجع السابق، ص110.

² المكان الذي يلتقي فيه السلطان بمساعديه وافراد رعيته للتشاور في امورهم المختلفة .

³ محمد الغربي، المرجع السابق، ص620.

⁴ السعدي، المصدر السابق، ص213.

⁵ مجهول، تذكرة النسيان في اخبار ملوك السودان، نشر هوداس، باريس، 1966، ص140.

وتعود سلاطين السودان الغربي على ان يصلوا صلاة العيد على الحصائر لا يفرشونها الا للعماء تكريما لهم. هذا وقد نقل ابن بطوطة صورته لمجتمع السودان الغربي ايام ازدهار مملكة مالي الإسلامية في القرن 8/14م وكيفية خروج السلطان لصلاة عيدي الفطر والاضحى فيقول: "وحضرت بمالي عيد الاضحى الفطر، فخرج الناس الى المصلى، وهو بمقربه من قصر السلطان وعليه الثياب البيض الحسان، وركب السلطان على رأسه الطيلسان، والسودان لا يلبسون الطيلسان الى في العيد ما عدا القاضي والخطيب والفقهاء، فانه يلبسونه في سائر الايام، كانوا يوم العيد بين يدي السلطان وهم يهللون ويكبرون، وبين يديه العلامات الحمر من الحرير، وينصب عند المصلى خباء، ودخل السلطان اليه واصلح من شأنه ثم خرج الى المصلى، فقضيت الصلاة والخطبة، ثم نزل الخطيب وقعد بين يدي السلطان وتكلم بكلام كثير، وهناك رجل بيده رمح يبين لناس بلسانه كلام الخطيب وذلك وعد وعظ وتذكير وثناء على السلطان، وتحريض على لزوم طاعته واداء حقه¹. من خلال هذه الصورة يلاحظ مدى احترام اهالي المنطقة لهذه المناسبة، وذلك بارتدائه اجمل الملابس، اضافته الى مشاركة السلطان للعامة في مثل هذه المناسبات الدينية، كما نلاحظ تبجيل السلطان للفقهاء والعلماء والخطاب وذلك بتميزهم عن العامة بلباس خاص في سائر الايام وكذلك انتقال المؤثرات الإسلامية اليهم من خلال سيادة اللغة العربية التي هي لغة العبادة فبالرغم من ان الخطيب افريقي وله لغة القوم، فانه يتحدث باللسان العربي والترجمان هو الذي يقوم بترجمة الخطبة الى من لا يعرفونها، ووجود عادة التهليل والتكبير قبيل صلاة العيد وهي سنه متعارف عليها في كافة المجتمعات العربية الإسلامية، واصبحت تقليدا عندهم كونها جزءا من مكملات العبادة.

¹ ابن بطوطة، المصدر السابق، ص213،

كما يضيف ابن بطوطة صورة لمشاركة سلاطين السودان الغربي في هذه المناسبة بقوله: "ويجلس السلطان في أيام العديين بعد العصر على النبي، ويأتي السلحدارية بالسلاح العجب وتراکش الذهب والفضة والسيوف المحلاة بالذهب واغماها منه، ورماح الذهب والفضة، ودبابيس البلور، ويقف على راسه اربعة من الأمراء يشردون الذباب، وفي ايديهم حلية من الفضة تشبه ركاب السرج، ويجلس الفرارية والقاضي والخطيب على العادة ويأتي دوغا الترجمان بنسائه الاربع وجواريه، وهن نحو مائة عليهن الملابس الحسان وعلى رؤوسهن عصائب الذهب والفضة فيها تفافيح ذهب وفضه، وينصب لدوغا كرسي يجلس عليه، ويضرب بالألة التي هي قصب، وتحتها قريعات، ويغني بعشر يمدح السلطان فيه ويذكر غزواته وافعاله، ويغني النساء والجواري معه، ويلعبن بالقسي." ¹

3-الاحتفال بالمولد النبوي الشريف:

اكتسب الاحتفال بالمولد النبوي الشريف طابعاً مميزاً في جميع مناطق السودان الغربي، وكان الاهالي وخاصة في المدن الكبرى مثل تنبكت وجني ونحوها يخرجون ليلة المولد النبوي الى الشوارع يمدحون الرسول صلى الله عليه وسلم ويزينون المساجد ويخرج الناس رجالاً ونساء معهم حرائرهم وإيمائهم ويرتدون أبهى ملابسهم وزينتهم، وتجري حلقات المديح امام ابواب المساجد، ويضربون الطبول في مواضع معروفة، ويركب الفرسان على خيولهم، ويلعبون بهم الى ثلث الاخر من الليل. ²

ويروي عبد الرحمن السعدي ان الشيخ سيدي ابي القاسم التواتي الذي كان من فقهاء توات الذين استقروا في تنبكت، وهو شيخ ذو كرامات وعمل إماماً للجامع الكبير حتى

¹ ابن بطوطة، المصدر السابق، ص787.

² مجهول، تذكرة النسيان، ص158.

وإفاه الاجل عام (953هـ/1528م) انه كان يطعم الطعام، وأكثر طعامه للمداحين لشده محبته لمدح النبي صلى الله عليه وسلم.¹

ويروي محمود كعت ان اهالي تنبكت كانوا يجتمعون في الاعياد الدينية في مكان اسمه كَلَصُخُ² واتخذوه موضعاً يمتدحون فيه النبي صلى الله عليه وسلم.

ومن القصائد التي كانت تنشد في مدح الرسول صلى الله عليه وسلم في مولد الشريف، قصيدتا البردة والهمزية للبوصيري، والقصائد العشر ينيات للفزاري بتخميس ابن مهيب.³ كما تذكر المصادر التاريخية هان الشعراء كانوا يتبارون في تدبيج القصائد التي تمد رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقد كان الفقيه محمد بابا بن محمد الامين بن حبيب التنبكتي، ينشئ قصيده مدح في كل ذكرى مولد نبوي، وذلك قبل وفاته بخمسين عاماً، وتوفي عام (1014هـ/1605م).

اما في مناطق المغرب الاقصى ايام السعديين، فقد اكتسى المولد النبوي بطابع خاص بحيث اتخذ عيداً رسمياً للدولة، فقد كانت تصدر الاوامر سنوياً لإقامة اعياد المولد النبوي الشريف على انماط من الاحتفال يقترحها المنصور الذهبي نفسه على جميع الاقاليم المغربية بحيث تشمل كل ايام شهر ربيع الاول. وكان يطاف في بعض المدن بالشموع الكبرى المزخرفة، وتقرأ قصة المولد في المشورة الجوامع والدور، وتعمل الفرقة الموسيقية طيلة الشهر في بيوت الاغنياء، ويلقي الشعراء القصائد في مدح الرسول الكريم ن والقصائد التي تشيد بمآثر الشرفاء السعديين وكان حكام النواحي يتصدقون او يهبون من بيت مال الدولة في ايام العيد.⁴

¹ السعدي، المصدر السابق، ص59.

² كَلَصُخُ، مكان في مدينة تنبكت شيد فيها مبنى سمي كَلَصُخُ بناءً على رؤية راها محمود بن عمر اقبت في منامه .

³ السعدي، المصدر السابق، ص، 58، 56، 43، 42.

⁴ محمد الغربي، المرجع السابق، ص621.

وكانت لديهم مناسبات أخرى دينية مثل الاحتفال بأول السنة الهجرية وعاشوراء¹، كما يحتفلون بيوم ختم القرآن الكريم في الجامع الكبير الذي كان يصادف دائما أحد أيام الجمع².

يستنتج مما سبق إن الثقافة العربية الإسلامية، استطاعت أن تتفد إلى مفاصل المجتمعات الأفريقية، أن تحدث فيها الكثير من التغيرات، ولم تسع إلى هدم الأسس السابقة وتقويض القيم والعادات الأفريقية القديمة، بل عملت على أن تلائم الدين الإسلامي، بحيث تنتهي عما ينهي عنه، وتلتزم ما يشير به. وبذلك هد السودان الغربي ما لم تشهده أكثر بقاع العالم الإسلامي الأخرى احتكاكاً بين التقاليد المحلية والأحكام الجديدة، الذي أدى ملائمة وانصهار بينهما وإلى ظهور المجتمع الزنحي الأفريقي الإسلامي ذي الخصائص المتميزة، والذي انعكس بدوره على النظم السياسية السائدة آنذاك.³

سادساً : التأثيرات السياسية

إن تغلغل تعاليم الإسلام كانت قوية، لأن الدولة القبلية في منطقة السودان كانت بسيطة تقليدية غارقة في القدم، ومنذ أسلم العديد منها أخذت بتشريعات الإسلام ونظمه في المجالين

السياسي والإداري، ففي المجال السياسي حاولوا تطبيق مبدأ أو نظام الشورى المعروف في الإسلام امتثالاً لقوله تعالى: "وَأْمُرْهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ"⁴، لذلك كان ملوكهم خاصة في مملكة سنغاي يعقدون اجتماعات دورية في قصورهم لوجوه القبائل وكبار رجال الدولة يتشاورون في شؤون الناس قبل إصدار الملك أوامره التنفيذية، وأنشأ الاسكيا محمد

¹ مجهول، تذكرة النسان، ص131.

² السعدي، المصدر السابق، ص 60.

³ حسن علي إبراهيم الشخي، المرجع السابق، 384.

⁴ سورة الشورى الآية، 38.

الكبير مجلسا للشورى يضم الوزراء والحكام الأقاليم، كما اتخذ الاسكيا داوود مجلسا للشورى مكونا من كبار العلماء وحكام الأقاليم¹، وعرفت دول المسلمين في تصميم القصور وقاعات الاستقبال التي كانوا يسمونها المشور، ومراسيم تنصيب الملوك الجدد منها ضرب الطبول، وشارات الملك كالقميص المزركش، وغطاء الرئيس الأبيض، والعمامة الخضراء

والسيف والبردة، وكان الاسكيا محمد الكبير قلد بذلك الخليفة العباسي الذي أكرمه أثناء رحلته إلى الحج عام 902 هـ 1496 م، وعلى غرار الحكام المسلمين جعلوا الوظائف الهامة تحت إشراف السلطان مباشرة كأمر القصر، وناظر الخزانة، وقائد الجيش، وناظر الزراعة، وجامع الضرائب، وناظر الغابات، ورئيس الشرطة، وناظر الأملاك، وناظر

شؤون البيضان، والميناء والسفن، ورئيس السوق، وناظر المياه، وديوان سيرة السلطان وكان أداء يمين الولاء للسلطان يتم في المسجد عقب الصلاة، وتوزيع الإحسان على الفقراء وأنشأوا الأساكي منهم سني علي أسطولا لتأمين الطريق البحري لحماية للتجارة. أما التأثير والتأثير في النظم الإدارية، فقد أخذت هذه النظم التي من البلاد الإسلامية خاصة بلاد الغرب الإسلامي، التي تميزت بالمركزية من ذلك تقسيم البلاد إلى أقاليم أو إلى ولايات، وعين عليها حكاما، وألغيت التقاليد القديمة في الاحتفاظ بأبناء حكام الأقاليم كرهائن وهذا في عهد الاسكيا محمد الكبير سلطان سنغي عام 899 هـ 1493 م، ووطورت النظم فأنشئت مناصب جديدة مثل منصب مفتشية الضرائب، والمشرف على شؤون القبيلة.

أما ما يخص القضاء فقد أخذوا النظام القضائي العربي الإسلامي كلية، حيث عمل الحكام على إشاعة العدل، والأمن ملتزمين بالكتاب والسنة وأحكام الشريعة الإسلامية، فتم اختيار القضاة ممن يتوفر فيهم العلم، والنزاهة والتدين، وهي صفات نقلها العلماء والدعاة والتجار إلى المنطقة فتحلوا بها بعد أن تمثلوها، وكان القاضي في بلاد السودان يسمونه بلغتهم "أنفارم". "وكان للقاضي مكانة سامية ومتميزة عندهم، وحظوا باحت

¹ محمد كعت، المصدر السابق ص، 91.

رم العامة والخاصة والحكام، ومن أمثلة ذلك أن الاسكيا محمد الكبير استقبل بنفسه القاضي محمود بن عمر عند عودته من رحلة الحج عام 915 هـ 1508 م، وجعل مكانا خاصا في مجلسه.¹

سابعا: التأثيرات الاقتصادية

إن الحركة التجارية، والقوافل المتتابعة التي كانت تسير إلى بلاد السودان الغربي والأوسط كان أثر كبير وصدى عميق في المنطقة، ودليل على التغيرات التي طرأت عليها، والتطورات الناجمة

عنها، وبدا ذلك الأثر أولا في المراكز الحضرية والتجمعات البشرية، وبالسكان في تلك المناطق التي كانوا قد ارتادها التجار والعلماء والدعاة، الذين وجدوا أينما حلوا وارتحلوا ترحيبا لما تحلوا به من صدق، وأمانة في تعاملهم وفي سلوكهم، وقد أدى هذا إلى ظهور مفاهيم اقتصادية جديدة لم تعرف في المنطقة كالمعاملات التجارية، والعملات، والمقاييس

والمكايل والموازين، والزراعة والثروة الحيوانية والصناعات والحرف.

ومن أبرز هذه المجالات التي تأثر بها السودانيون المعاملات التجارية حيث وفدت جالية تجارية من غدامس، والقيروان، وتوات، ووارجلان، وتلمسان ومن فاس، وسجلماسة واستقر بعضها هاك، واحتلوا مكانة اجتماعية هامة في المجتمع السوداني منهم الحاج سالم المصراطي

وصاروا من أشهر أرف هذه المراكز منها تنبكت، وكانت لهم أحياء أو حومات تعرف بهم كحومة الغدامسة.²

ومن أبرز الآثار نظام العملات الذي لم يكن معروفا إلا مع بداية انتشار الإسلام في المنطقة حيث عرفت عندئذ العملة الذهبية مبارك، وفي القرن الخامس الهجري /الحادي عشر الميلادي أشار البكري إلى استعمال الدينار الذهبي في تادمكة وتسمى " الصلح " لأنها من الذهب الخالص غير المختوم، ويبدو أنه كان على وزن المثقال، وهو ما أشار

¹ السعدي، المصدر السابق، ص76.

² السعدي، المصدر السابق/ص142.

إليه ابن بطوطة بالإضافة إلى التعامل بعملات بلاد المغرب ومصر، كما تعاملوا بالفضة والنحاس إذ لم يكن التعامل بالنحاس منتشرًا مثل الذهب والفضة، كما تعاملوا بالودع¹ في العصور

المتأخرة. أما عن المقاييس والمكايل والموازين التي لم يكن أهل السودان يعرفونها فقد جاءت مع تجار المسلمين وخاصة الغرب الإسلامي، وقد وردت في مؤلفات علمائهم أمثال محمود كعت وعبد الرحمن السعدي وأحمد بابا التنبكتي ومنها: المقاييس كالشبر، والذراع، والميل والفرسخ، والمكايل كالمد، والصاع، والقنطار، والمودي، أما الأوزان فمنها الدينار، والمثقال، والدرهم، والوقية، وقد أوضحت اللغة العربية هي لغة التعامل في السودان الغربي والأوسط، وما زالت آثارها حتى يومنا هذا، بل ما زالت تفرض فسها رغم الحرب الضروس التي شنها المستعمر مستخدمًا كل الوسائل حتى تمكن من جعل لغته لغة رسمية للعديد من هذه الدول أو الكيانات التي اصطنعها، وبقيت الشعوب خارج هذه الدائرة النخبوية المرتبطة بثقافة المستعمر مسلمة عربية متمسكة بأصالتها.

شجع اعتناق الإسلام على العمل الزراعي والاعتناء بتربية الحيوان، حيث كان أهل السودان يعيشون على الصيد والقطاف أو الجني، ولتحريم الإسلام أكل الخنازير اتجهوا نحو تربية المواشي كالأغنام والجمال والماعز والخيول وغيرها، وساعد ذلك على الإقلاع عن عادة أكل لحم البشر، كما أن توفر الأمان والاستقرار شجعهم على ممارسة هذه الحرفة بشكل واسع، إلى جانب توفر الإمكانيات الطبيعية من مناخ وماء وتربة خصبة خاصة على ضفاف الأنهار وأحواضها ودلتاتها، حيث استغلوا مياه الأمطار الغزيرة، والأنهار في شرب حيواناتهم وسقي زراعتهم، وجر المياه في القنوات المحفورة على غرار ما كان في العالم العربي والإسلامي خاصة في العراق ومصر، وبلاد المغرب والأندلس.²

ومن أهم المزروعات التي أدخلوها أو توسعوا في زراعتها: القطن، والقمح الذي كان يستورد من الشمال كطعام للملوك والخاصة، والكروم، والتين، ومن العوامل التي

¹ هو عبارة عن خرز أو اصداف لبيضاء تعيش في بحار البلاد الحارة بداخلها بعض القواقع، انظر معجم الوسيط، 1078.

² السعدي المصدر السابق، 70.

ساعدت على تطور الزراعة البذور الجيدة، والخبرة الحسنة الوافدة من الشمال، وتعلم مزارعو السودان تقنيات الزراعة، واستفادوا من خبرة المزارعين الوافدين - من الغرب الإسلامي لاسيما من المغرب الأوسط (الجزائر)، ومن توات بالذات ومن الأندلس في طرق الري، وتسميد التربة، كما أدخلت المحاريث التي استخدمت على نطاق واسع، ووصف كعت نتائج أثر الوافدين قائلا "دخل الناس في الحرث واشتغلوا به وأكثر الله الغيث، وأنبت الزرع ورخص

الطعام من كل جانب واطفاً الله نيران الفتن".¹

وكما سبق ذكره فقد اهتم أهل السودان بتربية الحيوانات ولا يزل هذا الاهتمام باقيا حتى اليوم فاعتنوا بالجمل واستعملوه للنقل والركوب، واستفادوا من لبنه ولحمه وجلده، كما اهتموا بالخيول خاصة العربية والبربرية التي وردت إليهم خاصة أن خيولهم كانت صغيرة الحجم تسمى "بوني"، فتلاقحت وأنجبت جيلا جديدا له القدرة على التكيف مع ظروف المنطقة، فلا يتأثر بلفح الهواء ولا بلدغا الحشرات، ومن مناطق تربيتها شرق تمبكت، كما اهتموا بتربية الأغنام والماعز والأبقار.²

كما شهدت الصناعات والحرف قفزة نوعية، وكان لتعميم مفاهيم العقيدة الإسلامية الدور الهام في تطور وازدهار الصناعة بمختلف أنواعها، كما أن نهي الإسلام عن العري قام بدور فعال في الاهتمام بصناعة المنسوجات، والملابس لاسيما من توفر المواد الخام كالقطن والصوف والوبر، وقامت وحدات عائلية لنسج وحيكة الملابس، ورغم ذلك فإنها لم تكن تكفي حيث كانت تستورد من بلاد المغرب والأندلس، وقد نشطت هذه الصناعة إلى جانب صناعات حرفية أخرى كدبغ الجلود، وصنع النعال، والآلات الموسيقية، والأصباغ التي جاء بها المغاربة في البداية، كما تأثرت المنطقة ببعض الحرف كالحلي، والآلات الحديدية، وصناعة الصابون، ومهنة الخياطة، وتذكر المصادر أن هذه الصناعات والحرف كانت منظمة فلها نقابة يعرف رئيسها باسم "الألفا" وهو التنظيم الذي عرف في البلاد الإسلامية ومنها الغرب الإسلامي.³

¹ محمد كعت، المصدر السابق ص181.

² الوزان، المصدر السابق /، ص178.

³ محمد كعت، المصدر السابق، 1880.

ونخلص في هذا الميدان الاقتصادي إلى القول بأن تأثير بلاد الغرب الإسلامي كان واضحاً شمل المجالات الاقتصادية، وستزداد وضوحاً عند التعرض إلى الجوانب الاجتماعية والثقافية.

ثامناً: التأثير الثقافي:

إن الحركة التجارية الواسعة، وانتشار الإسلام أدى إلى انتقال الثقافة العربية الإسلامية في مجالاتها المختلفة يستعرض بعضها فيما يأتي:

1- اللغة العربية: اللغة العربية هي لغة القرآن الكريم وترجمانه، فحيثما حل الإسلام بمنطقة حلت معه اللغة العربية التي اكتست بفضل القرآن قداسة حتى يومنا وإلى يوم الناس، وقد ارتبط انتشار اللغة العربية في السودان الغربي بانتشار الإسلام واكتسبت احترام كبيراً من طرف مسلمي تلك المنطقة، كما ارتبطت بالحركة التجارية، وادعاء العديد من الحكام والقبائل أنهم ينتسبون إلى أصول عربية شريفة¹ كما هو معروف في كثير من البلاد الإسلامية منها المغربية، وساعدت على انتشارها بعض القبائل والأسر العربية المسلمة التي هاجرت إلى المنطقة واستقرت بها، وفتوى أغلب الأئمة بعدم جواز قراءة القرآن بغير العربية، وبعدم ترجمته إلى لغة أخرى، وكان لكل من يريد معرفة أحكام الإسلام لابد له من إتقان العربية، حيث للعربية قواعد تضبطها، وتسهل التعامل بها، وهي واسعة يعبر بها عن الكثير من الأمور.

وقد قام المعلمون والأئمة والدعاة ورجال التصوف بدور كبير في نشر اللغة العربية عن طريق التعليم والوعظ والإرشاد والفتوى، والمراسلة وكتابة العقود لاسيما التجارية، كما أن خطوطها المتنوعة وما تتحلى به من تشكيل لوحات فنية زخرفية كالخط الكوفي والخطوط الهندسة لاسيما زخرفة الآيات القرآنية، وأكثر ما كتب به أهل السودان الغربي والأوسط الخط العربي المغربي، ووصف القلقشندي كتابتهم فقال: "وكتابتهم بالخط العربي على طريقة المغاربة"²، ولاريب أنهم في البداية كانوا يتعاملون مع الإسلام وتعاليمه بواسطة المترجمين، فكان الإمام يخطب بالعربية والمترجم يحمل رمحا

¹ الهادي مبروك الدالي، المرجع السابق، ص90.

² القلقشندي، المصدر السابق، ص287.

ويترجم للناس بلهجتهم كلام الخطيب، وكتبت شواهد القبور باللغة العربية، وهكذا تمكنت اللغة العربية من التوغل في كافة مناحي الحياة الاجتماعية والاقتصادية والفكرية، وهو ما أعطاها ديمومة البقاء في المناطق التي حلت به والتي اعتنقت الإسلام.

2- التعليم: حظي التعليم بعناية كبيرة في السودان الغربي والأوسط منذ بداية انتشار الإسلام في المنطقة، ولا اعتقد أنه كان في هذه المنطقة قبل ذلك أي نوع من نظم التعليم ولما كان التعليم يتيح لصاحبة احتلال مكانة اجتماعية مرموقة بعد تحصيله، فقد تمتع العلماء بتقدير واحترام كبيرين لدى العامة والخاصة، وخاصة الحكام، وقد توافد طلبة العلم

على تحصيله في المدن والقرى السودانية، ثم بلاد البلاد المغاربية. وتحصيل العلم كان يتم عبر مراحل أولها الكتاتيب على طريقة معظم البلاد المغربية، وفي هذه المرحلة كان الطفل يتعلم القراءة والكتابة وحفظ القرآن الكريم، ويجتهد السيد (المعلم) في تلقين الصبي الصلوات الخمس، وكان الأولياء لهم حرص شديد على تعليم أبنائهم في السودان الغربي.¹

ولم تكن أماكن التعليم محددة بل قد تكون مسجداً أو كتاباً مبنياً، أو متجراً، أو ساحة مسجد أو تحت ظل شجرة، وهذا حسب المنطقة إمكانياتها، ويوجد فرق بين التجمعات الكبرى أي المدن والصغرى القرى والمد اشتر، أما عن الوسائل المستعملة في التدريس فهي تقليدية نفس التي عرفت في البلاد الإسلامية والمغربية على الخصوص من ذلك اللوح، والدواة، وقلم القصب، والصلصال للمحي، والأصباغ، إلى جانب المصاحف، وبعض الكتب المقررة خاصة في المرحلة الثانية (متوسط) وكان المعلمون يتلقون أجورهم من الأولياء عن طريق

الأطفال الذين كانوا يحملون إلى السيد أو ألفا (المعلم) خمس ودعات أو ما يسمونه " حق الأربعاء"، وأورد كعت أن معلماً تحصل في يوم واحد على 725 دعة (عملة

¹ ابن بطوطة، المصدر السابق 686.

نقدية) بالإضافة إلى تكريم الطفل ومعلمه عندما يختتم جزءا من القرآن الكريم ويقام لذلك حفل بهيج بالموسيقى والزغاريد.

-أما في مرحلة التعليم العالي أو المرحلة المتقدمة، فكانت تتم في الجوامع بواسطة الحلقات التي يحضرها الطلاب الذين يجلسون في الإمام أمام الشيخ أو الأستاذ مباشرة، ثم عامة الناس في الخلف، ويتصدر الشيخ أو الأستاذ الحلقة فيجلس على كرسي عال، وبالقرب منه يجلس أنجب الطلبة الذي يقوم بسرد النص المقرر دراسته، ويسمى المسرد، في حين يقوم الشيخ بالشرح والتعليق، وفي غياب الشيخ يكون السرد لغاية الحفظ أو تلاوة السيرة النبوية الشريفة من بعض الكتب كالشفاء للقاضي عياض.¹ وكان من سمات المعلم والشيخ أو الأستاذ الناجح التواضع، والابتعاد عن التكرار الممل، ووضوح الصوت، والمواظبة على الدروس، ومن مواد التدريس في هذه المرحلة علوم التفسير والحديث، والفقه المالكي، والتاريخ والسيرة، وعلوم العربية والمنطق إلى غير ذلك.

وقد وجدت أنواع أخرى من التعليم كالتعليم المهني والحرفي لاسيما في المدن الكبرى كتبكت وجني حيث كانت العديد من الحوانيت تخصص وقتا لتعليم الشباب مختلف الحرف كالحدادة، والسباكة، والنجارة والخياطة على غرار ما كان جاريا في حواضر بلاد المغرب

الإسلامي والأندلس، إضافة إلى البعثات الخارجية إلى بلاد المغرب كالقيروان، وتلمسان وتيهرت، وتوات، وفاس، وحتى بلاد الأندلس، ومصر، حيث أسهم هؤلاء الطلبة عند عودتهم بعد التحصيل العلمي في دعم العلاقات بين الشمال والجنوب، ونقل تجارب وطرق الدراسة والعمل وبعض العادات والتقاليد.²

3-الأدب والشعر: أغلب الأدب الإفريقي عموما أدب شفهي فقد جمع الكاتب " يان " قائمة من 4000 عنوان من القرن 10 هـ 16 م إلى غاية 1387هـ م /1967 في رقعة جغرافية تضم 700 لغة ولهجة منها 41 فقط لها أبجدية والباقي شفهي حسب هذا المقال

¹ السعدي، المصدر السابق، ص29.

² محمد كعت، المصدر السابق، ص22.

وبالإضافة إلى الأدب المحلي والعربي وجد أدب يعد دخيلاً على تقاليد المنطقة رافق الاستعمار الأوربي الحديث، وركز في النخبة بلغات تلك الدول المستعمرة محاولاً فصل المجتمع الإفريقي عن تراثه وماضيه عكس ما قامت به الحضارة العربية الإسلامية في المنطقة بعد انتشار الإسلام فيها، وهو ما حدث لتركيا التي عانت مشكلة الانفصال عن تراثها العثماني الإسلامي الكبير، وتشهد اليوم محاولات ترميم هذه الهوية بالعودة رويداً رويداً إلى أصالتها الحقيقية، وقد عبر الشاعر الرئيس لبيود سينغور السنغالي عن هذا الوضع اللغوي الغازي قائلاً: "إن الفرنسية هي التي اخترتني ولم اخترها أنا"، كما كان الأديب الجزائري مالك حداد يردد وهو يكتب بالفرنسية أنه غريب فيها.

وإذا كان الأدب والشعر هو أحد مظاهر الثقافة العربية والسودانية، وحيويتها تتبع أساساً من حيوية اللغة العربية، فالشعر العربي في بلاد السودان الغربي والأوسط من أغزر العطاءات الأدبية والشعرية حتى أطلق مثلاً على موريتانيا اسم " بلد المليون شاعر " كناية عن الكثرة

والتنوع، فقد كتب الأدباء، وتناول الشعراء كافة الأغراض الشعرية المعروفة في الشعر العربي كالمديح، والفخري، والثناء، والغزل، والوصف، وفي الحياة الاجتماعية والسياسية وحتى الاقتصادية، ولكن شعراء السودان الغربي والأوسط برعوا في الشعر الديني ذو الطابع

الصوفي، وخاصة المدح، كمدح النبي وبمثل ما تناول هذا الأدب والشعر هذه الأغراض عد كذلك جهاز إعلامي.

ولمكانة الشعر والشعراء في السودان الغربي والأوسط - سواء كانوا من أهل السودان أو الوافدين عليه - جعل أهل هؤلاء في مرتبة العلماء والفقهاء ورجال التصوف باحترامهم وتقديرهم في حياتهم وبعد مماتهم، فبنوا قبورهم وجعلوها مزاراً، وقد أورد ابن بطوطة في هذا الشأن خبراً عن قبر الشاعر المفلح أبي إسحاق الغرناطي الأندلسي المعروف ببليده

بالطويجن الذي يبدو أنه يزار في تبكت إذا لم يكن يتبرك به.¹

¹ ابن بطوطة، المصدر السابق، ص 694.

3- الفن :الموسيقى والغناء والرقص : عرفت مجتمعات إفريقيا بميلها الشديد إلى الموسيقى والغناء والرقص وكل الفنون الشعبية حتى بلغوا فيها درجة متميزة، وقد بينا أنفا بعض عوامل ذلك، والحقيقة أن هذه صدرت إلى الشمال وتأثر سكان بلاد المغرب وأثروا هم بدورهم ويمكن القول إنه تراث مشترك للمنطقتين السودانية والمغربية تكون على مر العصور، وقد وصف أهل السودان الوزان فقال: "وقد فطر آل تنبكت على المرح، وتعودوا على التجول في المدينة بين الساعة العاشرة ليلا والواحدة صباحا وهم يعزفون على آلات الطرب ويرقصون"¹، ومن آلات الطرب الطبول، والمزامير، والدفوف، والقنين جلها كانت في عهد دولة سنغي.²

كما تخصص أفراد في الغناء والموسيقى تخصصت بعض القبائل في ذلك كقبيلة المابي في تنبكت وجاوا، وكانت تتكسب منها، وبالإضافة إلى المغنيين كان الشعراء الذين ينظمون القصائد ويكسبون من ورائها أموالا طائلة³، وبتأثير بلاد المغرب أضيفت إلى آلاتهم آلات جديدة منها الآلات الوترية، والمزمار، وبعض الأوزان والسلاليم الموسيقية، والصنجات النحاسية والخشبية، والرباب، والغيطه (الزرنه) وشجع الحكام الموسيقيين والمغنيين حيث كانوا يأتون إلى المشور كل يوم ويغنون، ويعزفون، ويرقصون ؛ وبتأثير الإسلام اختفت بعض المظاهر السلبية كالصخب، والرقص الفاضح.⁴

4- العمران والعمارة : للعمران البشري علاقة وطيدة بالعمارة فحيثما تكون التجمعات السكانية تكثر العمارة، وتصحب العمارة الفنون الهندسية والزخرفية، والبناء السوداني الأصل مستدير مغطى بالخوص (القش) في شكل هرمي تكيفا مع طبيعة المناخ لاسيما الحرارة الشديدة، والأمطار الغزيرة، وجدران تلك المباني من الطوب ونادرا ما تبنى بالحجارة أو تخطط بها، أما المباني بالحجارة فهي لقصور الملوك والحكام والخاصة، والعمارة المتطورة جاءت من بلاد المغرب الإسلامي والأندلس لاسيما الجزائر عن

¹ حسن الوزان، المصدر السابق، ص167.

² كعت، المصدر السابق، 87.

³ الهادي مبروك الدالي، المرجع السابق، ص41.

⁴ مجهول، تذكرة النسيان، ص40,39 .

طريق التأثير الإباضي والتواتي أولاً،¹ كما وفد المهندسون على المنطقة من الغرب الإسلامي والعالم الإسلامي من ذلك الذين اصطحبهم منسا موسى خلال عودته من رحلة الحج من بينهم إبراهيم الساحلي الغرناطي الذي أدخل فن البناء إلى السودان الغربي وزخرفته على الطراز المغربي الأندلسي، ووصف العمري هذا التطور فقال: "وهو يبني تقدير نصف دارع بالطين ثم يترك حتى تجف ثم يبني مثله هكذا يتباهى سقوفها قباب وجلمونات كالأقباء، وأرضها تراب مرمل"، وقد أثر الفن المغربي والأندلسي في فن زخرفة المساجد لا سيما في المدن الكبرى كتتبكت وجني ومازالت حتى اليوم تلك التأثيرات، والتي زينت بالنقوش، والخطوط العربية لا سيما الخط الكوفي، وزخرفت الآيات القرآنية، كما تأثرت المآذن بعمارة مآذن الإباضية أو الرستميين في الجزائر ويمكن للمتأمل ملاحظة ذلك بكل سهولة اليوم في عمارة المساجد بدول المنطقة، كما أن التأثير الشمالي في فن تخطيط المدن كجني وجاو، وفي الأزقة الضيقة وسطوح المنازل العالية والأبواب الواسعة والضخمة هي نفس هندسة العمارة المغربية في شمال إفريقيا، وكذلك في المتاجر والحوانيت التي بنيت حول المسجد التي كانت تبيع المسابح والعطور والكتب فتحول المسجد ومحيطه إلى إشعاع حضاري قام بدور كبير لاسيما في التنظيم العمراني، وهندسة العمارة، وامتد هذا التأثير إلى المنازل.²

ويستنتج مما تقدم أم الإسلام ورجاله لم يسعوا إلى تهديم معالم الجهود المحلية وطمسها واستبدالها، بل عملوا على تطويرها وتحسينها تمشياً مع تقاليد سكان المنطقة وثقافتهم المحلية، وهو ما جعل فعاليات تعاليمه قوية وعميقة أحدثت التغير المطلوب وتجذرت في المنطقة وطبعها بطابع خاص ومتميز مزال قائماً حتى اليوم.

¹ السعدي، المصدر السابق، ص 21.

² العمري، المصدر السابق، ص 201.

تاسعاً: مدى تأثير الإسلام في عادات وتقاليد مجتمع السودان الغربي

كان الحد من العصبية القبلية من أهم تأثيرات الإسلام في بلاد السودان، فقد أصبح العدل والمساواة والقانون الإسلامي هو السائد، فلا يوجد فرق بين شخص وآخر أو قبيلة وأخرى كما عمل على تقوية الروابط بين جميع المسلمين، فالإسلام عامل وحدة. وكان اعتناق الإسلام سبب هام في إضعاف العصبية القبلية، وبالتالي تحقيق التوافق والانسجام بين أعداد كبيرة مختلفة العروق والأنساب من البشر، فالإسلام حرر الفرد من إطار القبيلة الضيق ودمجه في مجتمع أوسع وأرحب يضم فضلاً عن أبناء قبيلته أفراد غيرها من القبائل، ويصف المستشرق (أدم سميث) أثر الإسلام في هذا المجال بقوله: ((إن كثيراً من الرجال الإنكليز الذين يعدون أنفسهم مسيحيين طيبين لن يجول بخاطرهم الإقرار بالزمانة مع المسيحيين من سود البشرة، أما المسلمون فلا يفرقون، فالعرب والزنوج والبربر أخوة في الدين ولا يختلط بعضهم ببعض الآخر في العبادة فحسب وإنما يعاون بعضهم بعضاً عن طيب خاطر في شؤون الحياة اليومية)).¹

وحيثما يعتنق السوداني الإسلام يجد نظاماً رائعاً للدين والأخلاق يكسبه قيم أخلاقية جديدة عوضاً عن تلك التي لم تعد تتاسبهم، وقد عمل المسلمون في غرب أفريقيا مثلاً على دمج القبائل المتناثرة في ممالك قوية شغل الزنوج مناصب رفيعة فيها، والإسلام وإن كان يعجل بالقضاء على العصبية القبلية إلا أنه لا يترك الفرد فريسة للشعور بالضياع، بل يمنحه بدلاً عن مجتمعه السابق، مجتمعاً أرحب تسوده قيم المودة والإخاء.²

ورغم إلزام الإسلام لمعتنقيه بترك كل ما يقرب للوثنية، ونبذ العادات والتقاليد السابقة، إلا أن بعض العادات والتقاليد لا بد أن تأخذ وقتاً للقضاء عليها، ولاسيما في مجتمع مثل

¹ محمود السلام زناتي، المصدر السابق، ص 247-248.

² قدام، أفريقيا الغربية، ص 137

المجتمع الأفريقي، فرغم إسلامهم ومحافظةهم على الصلاة والصوم، والالتزام ببقية الطاعات، إلا أنهم كانوا يرتدون الحلي الوثنية المعتادة ذات النماذج الغريبة. كما بقيت عادة الوشم وكى الأصداغ ولكن بصورة مخففة، إذ كانت تستخدم في حالة الحروب للتعرف على القتلى، ثم اضمحلت فيما بعد.¹

إن قيام الناس قبل الأقدام على أي عمل بالدعاء ولاسيما في المعارك، أمر وارد ومقبول في الشريعة الإسلامية، إلا أن التضرع بالأنبياء والأولياء للتقرب من الله تعالى أمر غير مقبول ومنافي لأوامر الله تعالى، ومن ذلك قيام البعض بالعرافة، والتنبؤ في بلاد السودان لمعرفة مصير أي معركة أو أي أمر آخر يريدون فعله.²

وكان للمسجد ودار الخطيب مكانة كبيرة في نفوس السودان، وكان المسلمين يلجئون إلى بيت الخطيب إذا ما داهمهم الخطر، وكانت زوجة حاكم دولة مالي منسا سليمان قد لجأت إلى دار الخطيب لاشتراكها في مؤامرة ضد زوجها السلطان سنة 756هـ/1355م، وكان ذلك كفيلاً بعدم ملاحقتها³. على أن تلك الاستجارة يجب أن لا تكون على حساب الحق، فإذا ما كان المستجير سارقاً أو قاتلاً يتم الاقتصاص منه وفق الشرع أو تتم المصالحة بين الطرفين بعد دفع الدية أو إعادة المسروقات في حالة السرقة، وهكذا....⁴

لقد كان انتشار الإسلام سبباً في توطيد القيم المثلى في المجتمع الأفريقي الداعية إلى المحبة والتعاون وإعانة المحتاج وإعطاء الصدقات والزيارات والتهادي بين الناس، فضلاً عن هشاشة وتداعي القيم الوثنية، لأن المستوى الثقافي والأخلاقي للمسلم كان

¹ الألوري، موجز تاريخ نيجيريا، ص124.

² تال، مادينا. لي، تدهور إمبراطورية مالي، بحث منشور في كتاب تاريخ أفريقيا العام، (اليونسكو: 1988) مج4، ص189.

³ أبين بطوطة، المصدر السابق، ص263.

⁴ زبادية، المرجع السابق، ص129.

يمثل الذروة بالنسبة للوثني، فلم تصمد الوثنية أمام الإسلام، ومن ثمّ كان الوثنيون الداخلون إلى الإسلام ينظرون إلى المسلمين السابقين لهم كقدوة¹.

¹ قдах، أفريقيا الغربية، ص136.



وفي ختام هذه الدراسة التي حاولنا أن نجلي فيها بعض مكان يسود السودان الغربي من مظاهر اجتماعية ودينية وثقافية واقتصادية وسياسية في ضل الوثنية وكيف غير الإسلام بعد دخوله إلى السودان الغربي في هذه المظاهر حيث أن:

1- انفراد السودان الغربي بالموقع الاستراتيجي هام والخصائص الطبيعية من مناخ وانهار وانعكس ذلك في انتعاش المنطقة كقطب علمي وحضاري هام في القارة ككل. إضافة إلى تنوع القبلي الذي شمل القبائل العربية والزنجية والأمازيغية، وانعكس ذلك على قيام أهم الحضارات والممالك التي أنتجت عدة حواضر مثل تمبكتو وغاو ولاته وأودغست واروان.

2- نستنتج أن منطقة السودان الغربي تذر بإعداد هائلة من الديانات المحلية المختلفة وهذه الديانات هي ديانات قبليه محلية كل ديانة منها مرتبطة بجماعه بشرية معينة. لان ما يميز مجتمعات السودان الغربي أنهم تقليديون شديدي التدين والإيمان بالقوى الغيبية. إن اعتبار المعتقدات المحلية التقليدية اعتمدوا في الأساس على تعدد الآلهة، وعدم الاعتقاد لوجود الإله الأعلى، أمر غير صحيح، لان الأفارقة يعتقدون في وجود الإله الأعلى ترجع له كل الأمور، والدليل ما سبق الإشارة إليه عبادة أرواح الأسلاف ومظاهر الطبيعة المختلفة.

3- إن مجتمعات السودان الغربي التي كانت تعتمد في حياتها الاجتماعية على نضام وبدأت تتخلى عنه لأنه نضام لا يقره الإسلام كما أن كان يسودها نضام الأسرة الممتدة وهي التي تمتد لتشمل إضافة إلى الأب والأم والأبناء، إخوة الأب وأحفاده، وكان يرأس الأسرة الأكبر سناً عندما اعتنقت هذه الجماعات الإسلام بدا هذا النظام بالاختفاء لان الإسلام يركز في الحقوق والواجبات في العلاقة بين الأب وأحفاده من جهة ومن جهة أخرى يسمح اقتسام التركة بين الأبناء وهذا يؤدي إلى ازدياد أهمية الأسرة النووية على حساب الأسرة الممتدة.

4- إن الزواج في هذه المجتمعات كان يتسم بالفوضى والهمجية وعندما وصلهم الإسلام بدأت هذه الأنظمة بالاختفاء كونها تتعارض مع مبادئ الإسلام الحنيف وذلك لما لهو من أخطار التي تهدد المجتمع مثل اختلاط الأنساب وغيرها من الأوبئة والأمراض الاجتماعية التي يسببها هذا النظام للمجتمع.

5- إن الإسلام مر بعدة مراحل في انتشاره في السودان الغربي ولقد كان لكل مرحلة خصوصيتها، إن الأفارقة اعتنقوا الإسلام وتكيفوا مع ثقافته لشعورهم إن هذا الدين ليس دخيلاً بقدر ما أنه يتوجب مع تطلعاتهم الروحية والاجتماعية فقد كان الإسلام صله وثيقة بنفسية الإفريقي ذلك إن تقريباً كبيراً قد ربط بين العقلية الإفريقية والتقاليد الإسلامية إذا شعر ينضرون إلى الإسلام على أنه دين السود، أدى اعتناق الحكام للدين الإسلامي في السودان الغربي عن طريق الدعاة المسلمين إلى توسيع مداه بين الرعية، وهذا بدوره ساهم في توسيع دائرته في المنطقة، وبالتالي وصلت الدعوة إلى كامل شرائح المجتمع سواء الطبقة الحاكمة أو الحكومة وقد تجسدت لاحقاً حين أصبح الإسلام جزءاً من مظاهر الحضارة في ممالك إفريقيا الغربية.

6- تدل قرائن الأحوال أنه عندما ترسخت العقيدة الإسلامية هذه المناطق، وبدأت تضرب بجذورها العميقة في المنطقة بدأت التأثيرات العربية الإسلامية في التفاعل داخل هذه المجتمعات، فبدأت تتخلى بشكل تدريجي عن هذه العادات التي تتنافى وتعاليم الإسلام الذي يأمر بالستر والحجاب فبدأت تتجه نحو لبس الثياب ن للإسلام يحرم كشف العورات بالنسبة للنساء على اعتبار جسدهن كله عوره ماعدا الوجه والكفين، وكذلك الناس الذين كانوا عراة لا يغتسلون أصبحوا بفعل هذه المؤثرات وبعد إسلامهم يتأنقون في ملابسهم من أجل الصلاة، عندما عرفوا يقيناً أنهم فعلاً أثناء تأدية صلاتهم إنما هم في تناجي مع الله فشرعوا يغسلون يومياً، لأن الشريعة تتطلب منهم

الطهارة بل أنهم أصبحوا يباهون مواطنيهم من ذوي المعتقدات المحلية بملابسهم البيضاء النظيفة.

7- ظهر تأثير الغرب الإسلامي على السودان الغربي اجتماعيا بشكل واضح من خلال اختفاء أو تناقص مظاهر الزنا والعري والاختلاط، وتنظيم الحياة الأسرية وما يتعلق بها أصبح السودان الغربي يشبه بلاد الغرب الإسلامي من خلال العادات التي نقلت له، وظهر هذا جليا في لباس أهالي السودان الغربي واحتفالهم بالمناسبات والختان والأعياد.

8- تميزت السودان بان لها عادات وتقاليد اجتماعية أصيلة وموروثة من الحضارة السودانية القديمة، وأخرى مكتسبة من العادات والتقاليد الإسلامية القادمة من الشمال الإفريقي، ولذا نجد مدن السودان الغربي الإسلامية قد عرفت الاحتفال بالمناسبات الدينية الرمضانية والنبوية ورأس السنة الهجرية، وكان سلاطين البلاد يدعونها بأنفسهم، فمن التقاليد الإسلامية اهتمامهم البالغ في المحافظة على أوقات الصلاة، وحضورها جماعة، ويقول ابن بطوطة ولذا كان يوم الجمعة ولم يكر الإنسان غالى المساجد لم يجد مكانا يصلي فيه لكثرة الزحام.

9- فبالنسبة للجانب السياسي فقد ظهرت نظم جديدة في اودان الحكم وأصبح الحكم على طريقة حكام السودان الغربي عن عادة توريث ابن البنت، وأصبحوا يورثون الحكم لأبنائهم، وكذلك بالنسبة للنظام الإداري تقلد المسلمين مختلف المناصب الإدارية، كما لقوا احترام وتقدير من طرف الحكام.

10- أما بالنسبة للأثر الاقتصادي فقد أصبحت تجارة القوافل بين بلاد المغرب والسودان الغربي تجارة مهمة تنقل عبرها مختلف السلع والمنتجات، وكذلك ظهرت العديد من المراكز التجارية المغاربية والسودانية أهمها: تمبكتو، جني، جاو،

سجلماسة، وغيرها من المدن الأخرى، كما شهدت مختلف التبادلات التجارية، وكانت من أهم السلع المتبادلة الملح والنحاس والذهب والأقمشة.

11- أما بالنسبة للجانب العلمي والثقافي فقد كان التأثير المغربي كبير في هذا المجال، ومما يؤكد ذلك انتشار اللغة العربية والخط المغربي وأصبح في بلاد السودان الغربي يكتب به، وأصبحت اللغة العربية لغة رسمية نتيجة إنها لغة القرآن الكريم، وكذلك انتشرت مختلف المذاهب الفكرية في بلاد السودان الغربي أهمها المذهب المالكي الذي اعتنق أهل السودان الغربي، وكذلك اتهم السودانيون بدراسة مختلف المؤلفات المغاربية والاستفادة منها، أهمها كتاب الشفا للقاضي العياض.

12- وجدنا انه لأول مرة في تاريخ منطقة السودان الغربي، تتوحد سياسيا وعقديا ومذهبيا وجغرافيا بعد مراحل التفكك والتشردم تحت إطار واحد إلا وهو الإطار الحضاري الإسلامي، حيث إن الإسلام لم يدع الإفريقي الذي اعتنق الإسلام إن يتخلّى عن هويته الإفريقية الزنجية لان من مبادئ الإسلام الحفاظ على تماسك الأسرة والقبيلة لتقوى شوكة الإسلام والدعوة إلى الوحدة لا الفرقة كما إن الإسلام أم بطاعة الله والرسول وأولي الأمر. كما أن الثقافة العربية الإسلامية تميزت بخصوصية في منطقة السودان الغربي وذلك منذ أن وصلتها رسالة الإسلام هي انه لم تطفو على السطح أي اتجاهات عنصرية والمحلية بل حدث تمازج وتوحد وتكامل حقيقي وتفاعل بين الثقافة العربية الإسلامية الوافدة والثقافات المحلية الإفريقية نتيجة تأثير المنطقة بالمناهج وطرق التعليم والثقافة الإسلامية الوافدة إليهم بالمنهج خصوصا تلك القادمة إليهم من المغرب، فعندما توطنت الثقافة الإسلامية وتجذرت في منطقة السودان الغربي أحدثت الكثير من التغييرات في الموروث الثقافي لهذه المجتمعات بما حملته إليهم من حضارة وتقدم دون الإساءة إلى الأسس السابقة وتقويض العادات والتقاليد والقيم القديمة التي لا تمس مبادئ الإسلام العقيدية بل عملت على توجيهها بكيفية تلائم العقيدة الإسلامية ذلك

بعد إن وسع الإسلام من مدارك الإنسان الإفريقي ورفع من مستواه الفكري وخلع عليه العزة واحترام النفس وغير الكثير من العادات والتقاليد والفوضوية التي كانت السائدة.

**قائمة المصادر
والمراجع**

قائمة المصادر والمراجع:

أولاً: المصادر

1. إبراهيم علي طرخان، إمبراطورية غانة الإسلامية. المكتبة العربية للتأليف، الهيئة المصرية للتأليف والنشر، 1970.
2. ابن الاثير، الكامل في التاريخ، مج9، دار صادر، بيروت، 1979.
3. أحمد بابير اللأرواني: السعادة الأبدية في التعريف بعلماء تينمبكتو البهية، تح الهادي المبروك الداوي، ط، 1 منشورات جمعية الدعوة الإسلامية، دار الكتب الوطنية، ليبيا، 2001.
4. الادريسي نزهة المشتاق في اختراق الافاق، مج1، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة د - ت.
5. الادريسي، أبو عبد الله محمد بن أدریس، صفة المغرب وأرض السودان ومصر والأندلس، (مأخوذة من كتاب نزهة المشتاق في اختراق الأفاق) مطبعة بريل، (ليدن: 1968).
6. ارنولد، توماس، الدعوة إلى الإسلام، ترجمة: حسن إبراهيم حسن وآخرون، مكتبة النهضة المصرية ط3، (القاهرة: 1970).
7. الألوري، آدم عبد الله، موجز تاريخ نيجيريا، منشورات دار مكتبة الحياة، (بيروت: 1965).
8. الأنصاري، شمس الدين أبو عبد الله محمد، نخبة الدهر في عجائب البر والبحر، (لايبزك: 1923).

9. البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري، تحقيق، مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير، ط3، (بيروت:1987).
10. البخاري، صحيح البخاري:5/2011؛ ابن حبان، صحيح ابن حبان:10/77.
11. ابن بطوطة، تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الاسفار، تحقيق كرم بستاني، دار الفكر، د ب، د ت.
12. ابن بطوطة: رحلة ابن بطوطة (المعروف بـ: تحفة النظار في غرائب الأمطار) دار بيروت للطباعة والنشر -بيروت -1400هـ/1980م..
13. بولم، دنيس، الحضارات الأفريقية، ترجمة: علي شاهين، (بيروت:1974).
14. التونسي، محمد بن عمر، تشذيب الأذهان بسيرة بلاد العرب والسودان، حققه وكتب حواشيه: خليل محمود عساكر ومصطفى محمد مسعد، الدار المصرية للتأليف والترجمة والنشر، (القاهرة:1965).
15. الحميري، أبو عبد الله محمد بن عبد المنعم، الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق: احسان عباس، ط2، مكتبة لبنان، (بيروت:1984).
16. ديفدسون، باسيل، أفريقيا القديمة تكتشف من جديد، ترجمة نبيل بدر وسعد زغلول، الدار القومية، القاهرة، 1972.
17. ابن رشد القرطبي، محمد بن أحمد بن محمد، بداية المجتهد(بيروت: د/ت):1/229.
18. زكرياء بن محمد القزويني اثار العباد واخبار البلاد .دار صادر بيروت.
19. السعدي :تاريخ السودان، تح وداس، باريس، 1981م.

20. السيوطي جلال الدين بن عبد الرحمان بن ابي بكر الحاوي الفتاوي، تاريخ الخلفاء، دار الفكر لبنان 2004.
21. السيوطي جلال الدين، تاريخ الخلفاء، ادارة الكتب العلمية، بيروت، (د، ت).
22. شمس الدين أبو عبد الله المقدسي، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، مكتبة مدبولي، القاهرة، ط3، 1991.
23. الطبري ابو جعفر محمد، تاريخ الطبري، المسمى تاريخ الامم والملوك، مج1، ط3، مؤسسة عز الدين للطباعة والنشر، بيروت، 1413هـ، 1992م.
24. ابو العباس احمد القلقشندي، صبح الاعشى في صناعة الأنشا. المؤسسة الوطنية للتأليف والنشر، القاهرة، 1963.
25. عبد الرحمان السعدي، تاريخ السودان، المدرسة الباريزية لتدريس اللسانة الشرقية، 1981.
26. أبو عبيد البكري، المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب جزء من المسالك والممالك .دار الكتاب الإسلامي، بيروت.
27. عطية مخزوم الفيتوري دراسات في تاريخ شرق افريقيا وجنوب الصحراء(مرحلة انتشار الاسلام)، بنغازي، منشورات جامعة قاريونس، 1998.
28. عماد الدين بن اسماعيل بن احمد ابي فداء، تقويم البلدان، دار صادر، بيروت.

29. العمري، أحمد بن يحيى بن فضل الله، مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، (الرباط:1988).
30. ابن الفقيه، أبو بكر أحمد بن إبراهيم، مختصر كتاب البلدان، (اليدن:1302هـ).
31. ابن الفقيه ابو عبدالله احمد بن محمد بن اسحاق الهمداني (ت365) مختصر كتاب البلدان (اليدن1302).
32. أبو القاسم بن حوقل، صورة الأرض .دار المكتبة الحياة، بيروت، 1979.
33. كعت، محمود بن الحاج المتوكل، التاريخ الفتاش في أخبار البلدان والجيوش وأكابر الناس وذكر وقائع التكرور وعظائم الأمور، تحقيق: هوداس، مطبعة بردين، (انجة:1913).
34. اللأرواني، مخطوطة السعادة الأبدية، ورقة رقم (12) .نقلاً عن الهادي المبروك، العلاقات، من موقع قبائل عرب أزواد ؛ التونسي، تشحيد الأذهان.
35. مارمول كربخال، إفريقيا، ترجمة محمد حجي واخرون، مكتبة المعاف للنشر والتوزيع، الرباط، 1984.
36. مجهول، الاستبصار في عجائب الامصار، سعد زغلول عبد الحميد، دار الشؤون الثقافية العامة، الكويت، 1985.
37. مجهول، تذكرة النسيان في اخبار ملوك السودان، نشر هوداس، باريس، 1966.

38. المقرئزي؁ الالمام بأخبار من ارض الحبشة من ملوك الاسلام؁ مصر؁ 1895.

39. ياقوت بن عبدالله الحموي؁ معجم البلدان؁ ج1؁ دار الصادر؁ بيروت 1957.

ثانيا: المراجع

40. ابن سعيد المغربي؁ أبي الحسن علي بن موسى؁ كتاب الجغرافية (بيروت: 1970).

41. ابن شقرون مصطفى دور التجار المسلمين في نشر الاسلام بغرب افريقيا في العصر الوسيط؁ اعمال ندوة التواصل الثقافي والاجتماعي بين الاقطار الافريقية على جانبي الصحراء.

42. احمد الطاهر؁ إفريقيا فصول بين الماضي والحاضر .القاهرة؁ دار المعارف؁ د؁ ت؁ ن.

43. اسماعيل فاروق؁ الأنثروبولوجيا الثقافية؁ "دراسة عقلية في الثقافات الفرعية "؁ دار المعرفة الجامعية؁ الاسكندرية؁ 1989.

44. أمحمد مولاي: القضاء والقضاة ببلاد السودان الغربي في أواخر القرن 9هـ/ 5م — 18م :رسالة الدكتوراه في علوم التاريخ والحضارة الإسلامية؁ كلية العلوم الإنسانية والإسلامية؁ جامعة وهران؁ 1؁ 12018؁ 2019.

45. أمين محمد؁ علاقات دولتي مالي وسنغاي بمصر في عصر سلاطين المماليك؁ بحث منشور في مجلة الدراسات الأفريقية؁ ع4؁ 1975.

46. أوراق المؤتمر، جمعية الدعوة العالمية، ليبيا، 26-27/11/2006م.
47. باري محمد علي كردية وسعيد ابراهيم، المسلمون في غرب افريقيا (تاريخ وحضارة).بيروت، دار الكتابة العلمية، 2007، ط1.
48. بليغ، أحمد فؤاد، عبد الرحمن السعدي — عصره وكتابه — تاريخ السودان، بحث منشور في المجلة التاريخية المصرية، المجلد العشرين، 1973م.
49. تاديوز ليفينسكي، دور الصحراء الكبرى واهل الصحراء في العلاقات بين الشمال والجنوب، تاريخ افريقيا العام، مج3،اليونسكو، المطبعة الكاثولية، بيروت.
50. تال، ماديئا. لي، تدهور إمبراطورية مالي، بحث منشور في كتاب تاريخ أفريقيا العام، (اليونسكو:1988) مج4.
51. ج، س، فرويليش "ديانات الارواح الوثنية في افريقيا السوداء ترجمة يوسف شلب الشام، دار المنارة، سوريا، 1988م.
52. جالو، حسن سعيد تأثيرات الديانات الافريقية في مسلمي بلاد السودان، جامعه الزيتونة، تونس، 1996، اطروحة لنيل شهادة الدراسات المعمقة.
53. جمال زكريا قاسم: العلاقات العربية الإفريقية، مجلة البحوث والدراسات الافريقية، العدد 547، القاهرة 1977.
54. جوان جوزيف، الاسلام في ممالك وامبراطوريات افريقيا السوداء، ترجمة مختار السويفي، القاهرة، دار الكتاب المصري —1981.
55. حسن ابراهيم حسن ، انتشار الاسلام في القارة الافريقية.
56. حسن احمد محمود، الاسلام والثقافة العربية في افريقيا.

57. حسن علي ابراهيم الشيعي، تأثير الاسلام وثقافته في السودان الغربي منذ بداية ق11حتى نهاية ق16م، بحث مقدم لنيل درجة الدكتوراه في التاريخ.
58. حسين مرزوقي، بلاد السودان في كتب الجغرافيين والرحالين العرب والمسلمين الى حدود القرن الثامن هجري .تق :محمد شقرون مجمع الاطرش للكتاب المختص، تونس، ط1، 2018.
59. دندش عصمت عبد اللطيف، دور المرابطين في نشر الإسلام في غرب إفريقيا السمراء. الجزائر، وزارة الثقافة، ط1، 2007م.
60. زناتي محمد سلام، الاسلام والتقاليد القبلية في افريقية، دار النهضة العربية، بيروت 1969م.
61. زناتي، محمود سلام، تعدد الزوجات لدى الشعوب السودانية، دار المعارف بمصر، (القاهرة:1963)، .
62. سعد زغلول، فتح المغرب بين الحقيقة التاريخية والاسطورة الشعبية، مجلة كلية الآداب، الاسكندرية، 1964م.
63. الشكري احمد، مملكة غانا وعلاقتها بالحركة المرابطية، منشورات معهد الدراسات الافريقية، الرباط 1997.
64. صلاح الدين المنجد: مملكة ماي عند الجغرافيين المسلمين، ط، 2دار الكتاب الجديد، ، بيروت -لبنان، ، 1982.
65. عبادة عبد الفتاح، انتشار الخط العربي في العالم الشرقي والعالم العربي، مكتبة الكليات الازهرية، القاهرة (د، ت).

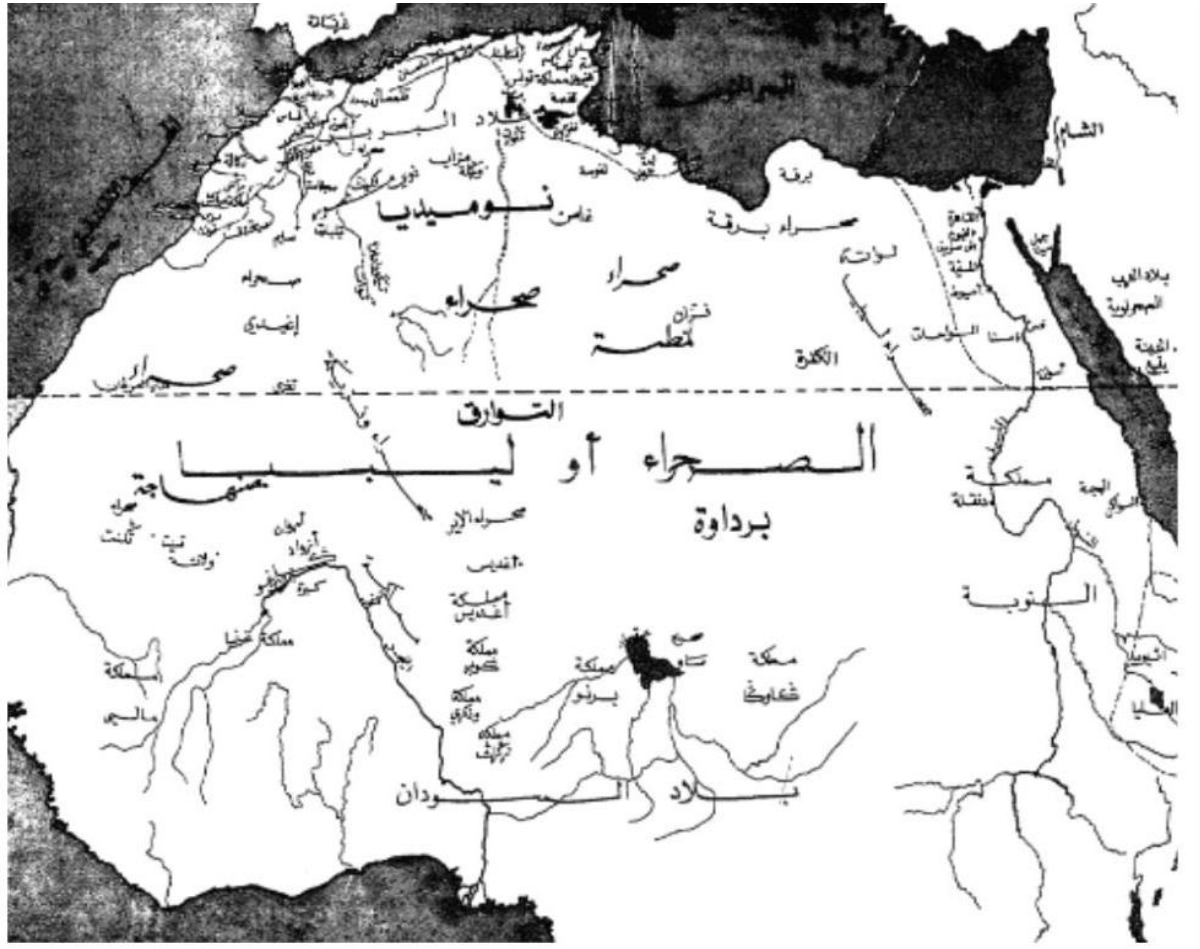
66. عبد الرحمان قدوري، الوجود المغربي بمنطقة السودان الغربي في القرن 9 و10هـ /، 15 رسالة ماجستير، بداوية مبخوت، جامعة ابي بكر بن القايد، تلمسان 2011م.
67. عبد القادر زباديه :مملكة سنغاي في عهد الأسقيين، شركة الوطنية لنشر والتوزيع، الجزائر، 1971.
68. عبدا لله عيسى: التعليم الإسلامي في غرب إفريقيا خلال القرن 16م، مجلة البيان، ع328، 2014م.
69. عبدالله عبد الرزاق ابراهيم، الاسلام والحضارة الاسلامية في نيجريا، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة، 1984.
70. العبيدي عبد العزيز راشد، وسائل انتشار الاسلام في افريقيا، دراسة تاريخية، مجلة الدراسات افريقية، عدد6، الخرطوم، 1990م.
71. عنان محمد بن عبدالله، نهاية الاندلس، مطبعة لجنة التأليف للترجمة والنشر، القاهرة، 1964م.
72. فائزة وسمية شرايطة: الحياة العلمية في مملكة سنغاي الإسلامية (9—10هـ /15—16م)، مذكرة ليسانس، مبار جعفري، كلية
73. فتاح، فوزية يونس، التأثيرات الحضارية العربية الإسلامية على السودان الغربي، أطروحة دكتوراه غير منشورة، (جامعة الموصل: 1994).
74. قاسم جمال زكريا، الاصول التاريخية للعلاقات الافريقية، دار الفكر العربي، القاهرة 1996م.

75. قدام، نعيم، أفريقيا الغربية في ظل الإسلام، مراجعة: عمر الحكيم، (دمشق: 1960).
76. مبارك جعفري: الحياة الاجتماعية والاقتصادية في منطقة الأزواد خلال القرن 13-16م، رسالة الدكتوراة، محمد حوتيه، كلية التاريخ، جامعة الجزائر، 2014م.
77. مجاهد حورية توفيق، الإسلام في إفريقيا وواقع المسيحية والديانات التقليدية، مكتبة الانجلو المصرية القاهرة، 2002م.
78. محمد أبو محمد إمام: ذكرى مرور أربعة عشر على دخول الإسلام في إفريقيا، المؤتمر الدولي الإسلام في إفريقيا، الكتاب الخاص
79. محمود حسن أحمد، الإسلام والثقافة العربية في إفريقيا. القاهرة، دار الفكر العربي، ط1. 2002 م،
80. محمود حسن احمد، دور العرب في نشر الحضارة في غرب إفريقيا، المجلة التاريخية المصرية، القاهرة، 1968.
81. محمود شاكر: مالي، المكتب الإسلامي، ط، 2بيروت، 1986م.
82. الناني ولد حسين، صحراء الملثمين دراسة لتاريخ موريتانيا وتفاعلها مع المحيط الاقليمي خلال العصر الوسيط من منتصف القرن 8هـ/م الى نهاية القرن 11هـ/م، بيروت، دار الدار الاسلامي، 2007.
83. نبيلة حسن: في تاريخ الحضارة الإسلامية، دار المعرفة الجامعية، د، ب.
84. نعيم قدام، الثقافة العربية وانتشارها في إفريقيا الغربية، مجلة المعرفة، ع11، وزارة الثقافة والارشاد القومي، دمشق سوريا، اكتوبر 1963.

85. الهادي المبروك الدالي: قبائل البرابيش، ط1، دار الكتب الوطنية، 2002،
بدون تاريخ.

الملاحق

الملحق رقم 01: خريطة السودان الغربي



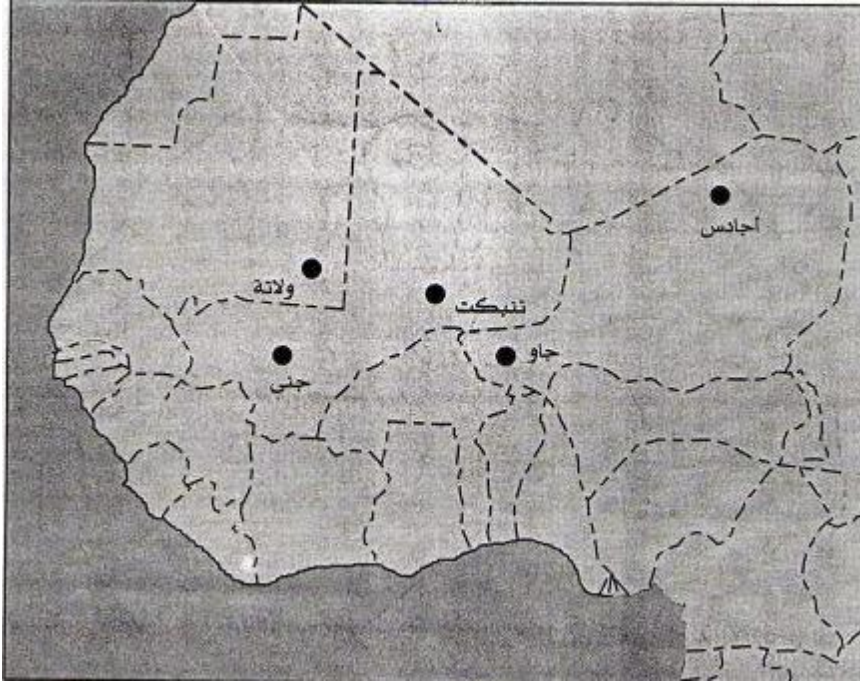
المصدر: مطير سعد غيث، الثقافة العربية الاسلامية وأثرها في السودان الغربي، ص413.

الملحق رقم 2: صورة البناء بالطين في السودان الغربي في ظل الاسلام



المصدر: مطير سعد غيث، المرجع السابق، ص415.

الملحق رقم 03: صورة توضح أهم المراكز الحضارية في السودان الغربي



المصدر: الهادي مبروك الدالي، ص362.



قائمة المحتويات

قائمة المحتويات:

شكر وتقدير

الاهداء

قائمة المختصراتأ

مقدمةأ

مدخل تمهيدي

أولاً: الإطار الجغرافي للدراسة 11

ثانياً: الإطار السياسي: 13

ثالثاً: الأوعية الحضارية في بلاد السودان الغربي 17

المبحث الاول: الأوضاع الاجتماعية والدينية في ضل الوثنية

أولاً: السفور والاختلاط في ظل الوثنية: 22

ثانياً: الملبس في ضل الوثنية: 23

ثالثاً: المسكن في ضل الوثنية: 25

رابعاً: البناء الأسري في ضل الوثنية: 25

خامساً: الزواج في ضل الوثنية: 27

سادساً: المعتقدات والطقوس في ضل الوثنية: 30

المبحث الثاني: مجتمع السودان الغربي من الوثنية إلى الإسلام

أولاً : الإسلام في السودان الغربي: 38

ثانيا -عوامل انتشار الإسلام في السودان الغربي 41

ثالثا - وسائل انتشار الإسلام في السودان الغربي: 44

رابعا - مراحل انتشار الإسلام في السودان الغربي: 52

المبحث الثالث: المؤثرات الإسلامية في السودان الغربي

اولاً: التأثير في الملبس 60

ثانياً: التأثير في المأكل والمسكن: 64

ثالثاً: التأثير في الأسرة: 66

رابعا - التأثير في الختان 74

خامساً: التأثير في المناسبات الدينية..... 78

سادساً : التأثيرات السياسية..... 85

سابعاً: التأثيرات الاقتصادية 87

ثامناً: التأثير الثقافي: 90

تاسعاً: مدى تأثير الإسلام في عادات وتقاليد مجتمع السودان الغربي 96

خاتمة 99

قائمة المصادر والمراجع 105

الملاحق 116

قائمة المحتويات: 120

جَمَلُكَ